التربية في القرآن الكريم

توجيهات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم

د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

د.عبدالرحمن بن سعيد الحازمي

التربية في القرآن الكريم

توجيهات تربوية لبعض آيات القرآن الكريم

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

[وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ]. [1]

وقال تعالى:

[وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ.] [2]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض " [3]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ٣١٩، ج ١، ص ١٧٢، صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٥٢٤٨، ج١٢، ١٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد عبد الله ورسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن الله تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هـــذا القرآن العظيـــم [هُـــدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ]،[1] [يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ][2] ووجه عباده إلى الاسترشاد بهذا القرآن، وطلب الهداية منه، إذ هو أهدى السبل للاستقامة، وأوضحها نهجاً للسلامة، فقـــال: [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِـــيَ أَقـــوَمُ]،[3] وقد جعله الله نوراً يهدي باتباع أحكامه والعمل بآدابه من يشاء من عباده فقال: [وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا].[4]

وختم هذه الآية الكريمة مقرراً، ومؤكداً مضمونها بأن رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا القرآن الذي جعله هدى للناس، ونوراً، هو أيضاً بدعوته إلى الله تعالى يهدي إلى الصراط المستقيم، والخلق القويم، فقال: [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ].[5]

ولذلك جعله الله عز وجل أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً فقال تعالى في تزكيته وتزكية منهجه حثّاً على اتباعه وبعثاً على التأسي به في جميع أقـــواله وأفعاله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٢-٥٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأحواله: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا].[1]

وقد يسَّرَ الله تعالى القرآن العظيم للذاكرين، ودعا المؤمنين به لتلاوته وتدبره وتذكره في كل حال من أحوالهم، وكل شأن من شؤون حركاتهم وسكناتهم في هذه الحياة التي جعلها مزرعة خصبة ميسرة لاستصلاح القلوب وتهذيب الأنفس وتصحيح السلوكيات وتحصيل المعارف والفضائل التي تقرب العبد من ربه، وتحببه في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: [وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ].[2] - [3]

ولحاجة المسلمين اليوم إلى العودة لكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للارتشاف من معينهما العذب، في وقت تلاطمت بنا الأمواج من ثقافات متنوعة تبثها بعض وسائل الإعلام الحديثة من فضائيات ومواقع "الإنترنت"، وقد احتوت في بعضها السم الزُّعاف لما تتضمنه من عداء صارخ وفاضح للقيم والمبادئ الإسلامية السامية، وإذا لم يتعاون المسلمون جميعاً للوقوف أمام تلك الثقافات الفاسدة كل بحسب موقعه وتخصصه بما يضادها من مبادئ

---

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(١) سورة القمر، الآية: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

(٢) تقديم فضيلة شيخنا الدكتور / عويد بن عياد المِطْرفي الحربي - رحمه الله - على كتابي: الذرية في القرآن الكريم.. دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام من إصدار المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية لجاليات، جدة، المملكة العربية السعودية. والدكتور عويد الحربي عالم موسوعي من علماء مكة المكرمة الذين نذروا أنفسهم لطلب العلم وتعليمه، له مشاركات ومؤلفات علمية متنوعة في خدمة كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، توفي - رحمه الله - في منتصف عام ١٤٢٨هـ. أسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه وأن يخلف على أهله وطلابه والمسلمين خيراً.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقيم وتوجيهات إسلامية، فسيكون الخطر عظيماً والضحية الأجيال الناشئة، بل قد يلحق الضرر بالبالغين.

لذلك رأيت أن أسهم من واقع تخصصي بالتأكيد على العودة إلى القرآن الكريم من خلال اختيار بعض الآيات الكريمات واستنباط مجموعة من التوجيهات التربوية التي حوتها كل آية على حدة.

وقد بلغت بتوفيق الله تعالى تسع عشرة آية؛ تضمنت الموضوعات التالية: (**الابتلاء سنة كونية، أداء الأمانات، الأسرة الصالحة وأثرها في التربية، تقوى الله تعالى طريق الفلاح، من آداب القرآن الكريم، الاختلاف سنة كونية، أهمية العمل المثمر، وسائل اكتساب العلم والمعرفة، دفاع الله تعالى عن المؤمنين، النكاح طريق الغنى، التوازن والاعتدال، الجهاد في الله تعالى، القول السديد فيه صلاح الدين والدنيا، العمر محدود، الصداقة الحقة، الأرزاق بيد الرزاق، المصائب نتيجة أعمالنا، الدعوة إلى الله تعالى، التذكير ينفع المؤمنين**).

وقد رأيت من المناسب تسمية هذ الموضوعات: **[التربية في القرآن الكريم]** للأسباب الآتية:

أولاً: إن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم في كل شؤون الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية...الخ، قال تعالى: [إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا].[1]

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: التأكيد على أهمية العـــودة الصادقة إلى القرآن الكـــريم وتدبر آياته وفهمها وتطبيقها في حياتنا اليومية.

ثالثاً: التخلص من المناهج التربوية التي وفدت بعض بلاد المسلمين، والتي يتعارض جلها أو بعضها مع الإسلام، مع إمكانية بقاء الصالح منها من باب الحكمة ضالة المؤمن.

ولا يفوتني شكر وتقدير كل من أسهم معي في إعداد هذه الموضوعات، أسأل أن يثيبهم ويجزيهم خير الجزاء، ويجعل ما قدموه في موازين حسناتهم، ورفعة لدرجاتهم.

المبحث الأول: الواقع ومُبَشِّرات الخروج من الأزمة

يركز هذا المبحث على ثلاثة محاور:

- واقع المسلمين اليوم.
- مُبَشِّرات الخروج من الأزمة المعاصرة والعلاج الناجع لها.
- أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس.

أولاً: واقع المسلمين اليوم

إن العالم الإسلامي اليوم يعيش في أغلب جوانبه في وضع لا يرضي المسلمين الغيورين على دينهم وأمتهم، وذلك لعلمهم علم اليقين أن هذا الوضع أقل بكثير مـــن آمالهم وطموحاتهم، بل وشعورهم بأن ما عليه بعض المسلمين بعيد عن منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إن لم يكونوا مخالفين لها في كثير من جوانب حياتهم: الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والتربوية والثقافية والإعلامية... الخ.

ولقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم في الكثير من الأحاديث الشريفة عمَّا سيؤول إليه حال المسلمين اليوم، فمن ذلك:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ ". [1]

وحديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ ". [2]

وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " تَفَرَّقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ أَوْ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ". [3]

وفي رواية عند الطبراني وضح الرسول صلى الله عليه وسلم مآل هذه الفِرَق واستثنى منها فرقة واحدة؛ وهي الفرقة المتبعة للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة "، قالوا: وما هي تلك الفرقة ؟ قال: " ما أنا عليه اليوم وأصحابي ". [4]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وإنه يأرز بين المسجدين، حديث رقم ٣٨٩، ج ١، ص ٩٠.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، حديث رقم ٢٦٦٩، ج ٤،ص ٢٠٥٤.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم ٢٦٤٠، ج ٥، ص ٢٥، وصححه الألباني في تعليقه.

(١) الطبراني، المعجم الصغير، حديث رقم ٧٢٤، ج ٢، ص ٢٩، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٩٤٧٤، ج ٢٠، ٤٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ". [1]

ثانياً: مُبَشِّرات الخروج من الأزمة والعلاج الناجع لها

إن من يدقق النظر في حال المسلمين اليوم يلمس مبشرات لتغيرات إيجابية كثيرة بتوفيق الله تعالى، ثم بسبب الوعي الإسلامي الذي عمّ أرجاء العالم بأسره، وفي كافة الاتجاهات، مع الدعوة إلى أهمية العودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهما المصدران الأساسيان لعزة المسلمين ورفعتهم فمن ابتغى العزة بغيرهما أذله الله، قال تعالى: [الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً]، [2] وقال تعالى: [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُون]. [3]

وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم عن مُبَشِّرات تحفظ للمسلمين تماسكهم وقوتهم لتخطي ما يعترضهم من عقبات وتحديات فمن ذلك:

عن تميم الداري – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ". [4]

---

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، باب في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم ٤٢٩٩، ج ٤، ص ١٨٤، وصححه الألباني في تعليقه.

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٩.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٤) ابن حنبل، المسند، مسند تميم الداري، ج٤، ص ١٠٣، الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٣، ج ١، ص ٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال صلى الله عليه وسلم: " لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَــقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَــنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ ".[١]

وقد حدد نبينا صلى الله عليه وسلم العلاج الناجع والسبيل الأوحد لإصلاح أمته في الحال والمآل،كما قال ابن تيمية نقلاً عن الإمام مالك – رحمهما الله تعالى – قوله: " لن يصلــح آخر هذه الأمة إلاّ ما أصلح أولــها ".[٢]

فعن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قــال: " وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ".[٣]

و عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّي قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ".[٤]

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حديث رقم١٩٢٠، ج ٣، ص ١٥٢٣.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٧، ص ٣٩٦.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البــدع، حديث رقم ٢٦٧٦، ج ٥، ص ٤٤، وصححه الألباني في تعليقه.

(٤) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ٣١٩، ج ١، ص ١٧٢, و صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٥٢٤٨، ج١٢، ١٩٥.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس

يجب أن يستقر في ذهن كل مسلم وفي وجدانه اليقين الكامل بأهمية القرآن الكريم هادياً ومربياً وموجهاً ومصلحاً لكافة شؤون الحياة صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها استناداً لنصوص الحديث السابق ذكرها، واستناداً لمقررات النصوص القرآنية المؤكدة على شمول القرآن الكريم لكل شيء، ومنها قوله تعالى: [مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ]، [1] وقوله تعالى: [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ]، [2] بل إن التمعن والتأمل والنظر والتطبيق لسورة أو حتى آية منه تكون كافية لهداية الناس لخيري الدنيا والآخرة.

قال الإمام الشافعي – رحمه الله – عن سورة العصر: لو لم يُنَزِل الله سوى هذه السورة لكفت الناس، وأيضاً جاء في البرهان في علوم القرآن للزركشي – رحمه الله – إن قوله تعالى: [يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]، [3] وهي آية واحدة أنها جمعت أصول أحكام الشريعة كلها فجمعت الأمر والنهي والإباحة والتخيير.[4]

وقد أورد القرطبي – رحمه الله – في تفسيره أن كعب الأحبار قال: لقد أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف، وهي: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]، [5] كما أورد أيضاً أنه قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع قوله تعالى: [فَمَنْ يَعْمَلْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٣.

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٧– ٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ]، [1] قال: لا أبالي ألاّ أسمع من القرآن غيرها حسبي فقد انتهت الموعظة. [2]

كما أورد القرطبي- رحمه الله – أن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال عن قول الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] [3] : هذه أجمع آية في القرآن لخير يمتثل ولشر يجتنب. [4]

وأورد ابن رجب – رحمه الله – في جامع العلوم والحكم أن قول الله تعالى: [وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً] [5] قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي ذر – رضي الله عنه – وقال له: لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم، ويقول ابن رجب – رحمه الله – يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودينهم. [6]

أما عن أثر القرآن الكريم، أو أثر الآية الواحدة في النفوس المؤمنة، فهذا مما قرره الله تعالى في كتابه، فقال تعالى: [اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ]. [7]

---

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٧-٨.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٥٢-١٥٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ١٦٥.

(٥) سورة الطلاق، الآية:٢.

(٦) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ١، ص٤٣٦.

(٧) سورة الزمر، الآية:٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أورد القرطبي – رحمه الله – عن أسماء بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – قالت:كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا قُرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. [1]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: " إن الآية الواحدة لتصنع أحياناً في النفس حين تستمع لها وتنصت أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والتكيف والرؤية والإدراك والطمأنينة والراحة والنقلة البعيدة الواعية المستنيرة مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه ! ". [2]

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفته بالله تعالى وبكتابه العزيز أول المتأثرين بسماع القرآن الكريم فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: " اقرأ عليّ قلت: يا رسول الله أ أقرأ عليك وعليك أنزل! قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً]، [3] قال: حسبك الآن، فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان. [4]

وعن ابن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس – رضي الله عنهما – يرتل القرآن ويقرأ حرفاً حرفاً، ويكثر من النشيج والنحيب، ويقرأ قوله تعالى: [وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيد]. [5 – 6]

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص ٢٤٩.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٤٢٥-١٤٢٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، باب قول المقرئ للقارئ حسبك، حديث رقم ٤٧٦٣، ج ٤، ص ١٩٣٥.

(٥) سورة ق، الآية:١٩.

(٦) البيهقي، شعب الإيمان، ج ٢، ص ٣٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال مقاتل بن حيان: صليت وراء عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – فقرأ قوله تعالى: [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ][1] فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها. [2]

(١) سورة الصافات، الآية:٢٤.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٩، ص ٢٠٤.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: الابتلاء سنة كونية

قال الله تعالى: [وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ].[1]

قال القرطبي – رحمه الله –: والبلاء يكون حسناً ويكون سيئاً، والمعنى: لنمتحنكم لنعلم المجاهد والصابر حتى يقع عليه الجزاء، بشيء من هذا، وشيء من هذا، فأما الخوف يأتي: خوف العدو، والفزع في القتال، والجوع يأتي من المجاعة والجدب والقحط، ونقص الأموال والأنفس والثمرات يكون بسبب الاشتغال بقتال الكفار، وقيل: بالجوائح المتلفة، وبالقتل والموت في الجهاد، وموت الأولاد، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه، وقيل: المراد قلة النبات، وانقطاع البركات.

وقوله تعالى: [وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ] أي: بالثواب على الصبر، والصبر لا يكون إلا بالصبر عند الصدمة الأولى كما جاء في الحديث: عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى "[2]، لأنه يدل على قوة القلب وتثبته في مقام الصبر، وأما إذا بردت حرارة المصيبة فكل أحد يصبر إذ ذاك.

وأضاف القرطبي – رحمه الله – تفصيلاً دقيقاً ومفيداً للآيتين المشار إليهما، ومن المناسب عرضه على النحو الآتي:

١– المصيبة كل ما يؤذي المؤمن وإن صغرت وتستعمل في الشر، روى عكرمة أن مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة، فقال صلى الله عليه وسلم: [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله ؟ قال: نعم كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة،

---

(١) سورة البقرة، الآية:١٥٥– ١٥٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب زيارة القبور، حديث رقم ١٢٤٠، ج ٥، ص ١٥٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهذا ثابت معناه في الصحيح عن أبي سعيد وعن أبي هريرة – رضي الله عنهما – أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ ".[1]

٢- عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَذَكَرَ مُصِيبَتَهُ فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ ".[2]

٣- من أعظم المصائب المصيبة في الدين، عن عطاء بن أبي رباح – رحمه الله – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِى، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ "، [3] وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة.

٤- قوله تعالى: [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] هذه الكلمات جعلها الله تعالى ملجأً لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين لما جمعت من المعاني المباركة؛ فإن قوله: [إِنَّا لِلَّهِ] توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: [وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] إقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا واليقين أن رجوع الأمر كله إليه، كما هو له، قال سعيد بن جبير – رحمه الله –: لم

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، حديث رقم ٢٥٧٣، ج ٤، ص ١٩٩٢.

(٢) ابن ماجة، سنن ابن ماجه، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، حديث رقم ١٦٠٠، ج ١، ص ٥١٠، ضعفه الألباني في تعليقه.

(٣) صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٣٤٨، ج ١، ص ٣٤٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعط هذه الكلمات نبياً قبل نبينا صلى الله عليه وسلم، ولو عرفها يعقوب – عليه السلام – لما قال: يا أسفى على يوسف.

٥– عن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَقُولُ قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَقُولُ مَاذَا قَالَ عَبْدِي فَيَقُولُونَ حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ فَيَقُولُ اللَّهُ ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ ". [١] وعن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا ". [٢]

فهذا تنبيه على قوله تعالى: [وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ] إما بالخلف كما أخلف الله لأم سلمة – رضي الله عنها – برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه تزوجها لما مات أبو سلمة زوجها – رضي الله عنه –، وإما بالثواب الجزيل كما في حديث أبي موسى – رضي الله عنه –، وقد يكون بهما.

٦– قوله تعالى: [أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ] هذه نعمة من الله عز وجل على الصابرين المسترجعين وصلاة الله على عبده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه في الدنيا والآخرة، وقيل: أراد بالرحمة كشف الكربة وقضاء الحاجة، وفي البخاري قال عمر – رضي الله عنه –: " نعم العدلان ونعم العلاوة، [الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ]، " [٣] أراد

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، باب فضل المصيبة إذا احتسب، حديث رقم ١٠٢١، ج٣، ص ٣٤١، وحسنه الألباني في تعليقه.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب ما يقال عند المصيبة، حديث رقم ٩١٨، ج ٢، ص ٦٣٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب الصبر عند المصيبة الأولى، حديث رقم ٤٢، ج ٥، ص ١٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الاهتداء، قيل: إلى استحقاق الثواب وإجزال الأجر، وقيل: إلى تسهيل المصائب وتخفـــيف الحزن.[1]

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٢، ص ١٧٣-١٧٥.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

التوجيهات التربوية

هذه الآيات الكريمات تحتوي على توجيهات تربوية في غاية الأهمية، لكونها تمس قضية من أهم القضايا التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة، تلكم هي: (قضية الابتلاء)، قال تعالى: [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ].[1]

ومن التوجيهات التربوية التي يمكن الإشارة إليها، ما يلي:

أولاً: أهمية ارتباط المسلم في كل أحواله بالله تعالى في المنشط والمكره، واليسر والعسر، فهو الملجأ الوحيد في كل شؤون حياتنا وبخاصة عند حلول المصائب والنكبات، وقد لمسنا توجيه الله تعالى لعباده في حالة وقوع البلاء أن يقول: [إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] وهذا يساعد المسلم ليطمئن قلبه وتستقر سريرته، فلا منجى من الله إلاّ إليه.

ثانياً: ليس الابتلاء المقدّر على العباد من أجل تعذيبهم أو إلحاق الضرر بهم وتنغيص حياتهم، بل لحكم كثيرة منها: ليعلم الله عز وجل الصادق من الكاذب، فيفوز الصادق بالجنة جزاء صدقه وهي الحياة الأبدية والتي يهون في سبيلها كل مصاب، قال تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ]،[2] وقال تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ]، [3] أما الكاذب فقد أعد الله تعالى له ما يستحقه من العقوبات عدلاً منه سبحانه وتعالى، فهو العدل المطلق ولا يظلم الناس شيئاً ولو مثقال ذرة، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً

---

(١) سورة الملك، الآية:٢.

(٢) سورة البقرة، الآية:٢١٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية:١٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُضَاعِفْهَـــا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً]، [1] وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ].[2]

ثالثاً: لا يسلم إنسان على وجه الأرض أياً كانت مكانته من هذه المصائب، فالناس كلهم في ذلك سواء على اختلاف فقط في درجة الابتلاء، فمنهم من يكون ابتلاؤه عظيماً، ومنهم من يكون أقل من ذلك،كل بحسب إيمانه، وفي الحديث الشريف سُئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشـــد بلاءً ؟ فقـــال صلى الله عليه وسلم: " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فإذا كان الرجل صلب الدين يبتلى الرجل على قدر دينه، فمن ثخـــن دينه ثخن بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ". [3 - 4]

رابعاً: حتى لا يكون المسلم عرضة لوساوس الشيطان ومنغصاته في حالة وقوع البلاء به، فعليه أن ينظر إلى من هو دونه ليعلم أن غيره قد أصيب بما هو أعظم بلاء منه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ ".[5]

---

(١) سورة النساء، الآية:٤٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ١٢٠، ج ١، ص ٩٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم ٣٤٠٢، ج٣، ص ١٧٩.

(٤) لمزيد من التوسع حول هذا الموضوع، انظر تفسير ابن كثير للآيات (٨٣ – ٨٤) من سورة الأنبياء التي ذكر الله تعالى فيها قصة النبي أيوب – عليه السلام – وما أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده.

(٥) مسلم، صحيح مسلم،كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم ٢٩٦٣، ج ٤، ص ٢٢٧٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجاء عند الصنعاني – رحمه الله – في سبل السلام بياناً شافياً ووافياً لشرح هذا الحديث فقال:

" إن فيه إرشاداً للعبد إلى شكر النعمة؛ والمراد أن الناظر في الدنيا ينظر إلى المبتلى بالأسقام وما فُضل به عليه من العافية التي هي أصل كل إنعام، وينظر إلى مـــن في خلقه نقص من عمى أو صمم أو بكم، ويرى ما هو فيه من السلامة عن تلك العاهات، التي تجلب الهم والغم، وينظر إلى من ابتلي بالدنيا وجمعها وامتنع عما يجب عليه فيها من الحقوق، ويعلم أنه فضل بالإقلال وأنعم عليه بقلة تبعة الأموال في الحال والمآل، وينظر إلى من ابتلي بالفقر المدقع أو الدَيْن المفظع ويعلم ما صار إليه من السلامة من الأمرين وتقر بما أعطاه ربه العين.

وأضاف أيضاً – رحمه الله –: وبالجملة فما من مبتلى في الدنيا بخير أو شر إلا ويجد من هو أعظم منه بلية، فيتسلى به ويشكر الله تعالى على ما هو فيه مما يرى غيره ابتلي به، وينظر من هو فوقـــه في الدين فيعلم أنه من المفرطين، فبالنظر الأول يشكر لله عز وجل على ما أنعم عليه من النعم، وبالنظر الثاني يستحي من مولاه ويقرع باب التوبة بأنامل الندم، فهو بالأول مسرور بنعمة الله تعـــالى، وفي الثاني منكـــسر النفس حياء من مولاه ". [1]

خامساً: في غمرة صحة الجسم ونشوة العبادة قد يطلب بعضنا أن يبتليه الله تعالى بمصيبة ما ظناً منه أنه سيصبر عليها ويحصل له الأجر العظيم جراء ذلك، وهذا نوع من الإعجاب بالنفس وهو أمر لا يقره الشرع، لأن فيه تعدٍ وتحدٍ مع الله عز وجل، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ". [2]

---

(١) الصنعاني، سبل السلام، ج٤، ص١٥١.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء، حديث رقم: ١٧٤٢، ج ٣، ص ١٣٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث: إنما نُهي عن تمنى لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفس والوثوق بالقوة وقلة الاهتمام بالعدو واحتقاره، وهذا يخالف الاحتياط والحزم، ولهذا تممه صلى الله عليه وسلم بقوله: واسألوا الله العافية وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية وهي: من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في الدين والدنيا والآخرة.[1]

وقال ابن تيمية – رحمه الله – بأنه من ابتلي بغير تعرض منه أُعين ومن تَعرَّض للبلاء خيف عليه، ويشهد لذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الرحمن بن سمرة – رضي الله عنه –: " لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها "،[2] وجاء أيضاً: " من سأل القضاء واستعان عليه بالشفعاء وكل إليه ومن لم يسأل القضاء و لم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده ".[3] – [4]

سادساً: قد يظن البعض دائماً أن كثرة البلاء بسبب سخط الله تعالى على المبتلى، وأن قلة البلاء دائماً بسبب الصلاح والتقوى، ولو كان الأمر كذلك لما كان الأنبياء أشد بلاءً، والواقع أن الأمر كله لله تعالى فهو الفعال لما يريد [لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ]،[5] فقد يكون البلاء جزاء لمعصية، وقد يكون البلاء لزيادة قرب المبتلى من الله وتعظيم الأجر له؛ المهم

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٢، ص ٤٥-٤٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله، حديث رقم ٧١٤٦، ج ٩، ص ٦٣.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، حديث رقم ١٣٢٤، ج ٣، ص ٦١٤، ضعفه الألباني في تعليقه.

(٤) ابن تيمية، الفتاوي، ج ١٠، ص ٥٢١-٥٢٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية:٢٣.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

في هذا الأمر هو الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى وقدره والوثوق به، فما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم.

سابعاً: إن دائرة الابتلاء لا تقتصر على الابتلاء بالشر فحسب، بل يشمل الابتلاء بالخير، ويكون الابتلاء بالخير أشد، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك، فقال تعالى: [كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ].[1]

وقال سيد قطب – رحمه الله – إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وإن خُيّل للناس أنه دون الابتلاء بالشر وإن الكثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير، لأن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء، ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب، فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة والصمود لها، أما الرخاء فيرخي الأعصاب وينميها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة، لذلك يجتاز الكثيرون الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء. [2]

ولذلك ينبغي على المسلم أن يتنبه لحاله فهو في كلا الحالين مبتلى، فما عليه إلا الصبر في الشدة، والحمد والشكر لله تعالى في الرخاء، بل المشروع أن يحمد الله تعالى في الحالين، الشدة والرخاء.

ثامناً: حرصت الشريعة الإسلامية على أن يأخذ الإنسان بمبدأ الحيطة والحذر للوقاية من الابتلاءات، وخير وقاية منها ذكر الله تعالى؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٣٧٧-٢٣٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رســـول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ ". [1]

كما أن هناك أوراداً شرعية صباحية ومسائية دبر كل صلاة مكتوبة، كلها ثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الأوراد اعتنى بها العلماء، وطلاب العلم، ودونت في كتب خاصة بها، أو على شكل كتيبات صغيرة، يجب على المسلم أن يحرص كل الحرص عليها، وهي بإذن الله تعالى تحفظه من المصائب، ومن تلك الأوراد المهمة على سبيل المثال لا الحصر قـــول الرسول صلى الله عليه وسلـــم: " ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شـــيء ". [2]

المبحث الثالث: أداء الأمانات

قال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً] .[3]

قال ابن كثير – رحمه الله –: إن الله تعالى يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وهو يعم جميع الأمـــانـــات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة

---

(١) الترمذي، ســـنن الترمذي، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، حديث رقم ٣٤٣٢، ج ٥، ص ٤٩٣، وصححه الألباني في تعليقه.

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ١٨٩٥، ج ١، ص ٦٩٥، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم ٦٥٥، ج ١، ص ١٥٩.

(٣) سورة النساء، الآية:٥٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والصيام والكفارات والنذور وغـــــير ذلك، مما هو مؤتمن عليه، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض: كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به، فأمر الله تعالى بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أُخذ منه ذلك يوم القيامة، كما أمر الله تعالى بالحكم بالعدل بين الناس، وأداء الأمانات، وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة العظيمة الشاملة، فهو سبحانه سميعاً للأقوال بصيراً بالأفعال.[1]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: هذه هي تكاليف الجماعة المسلمة، وهذا هو خُلُقهَا، أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بين الناس بالعدل على منهج الله تعالى وتعليمه، والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى، أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله تعالى عن قصد وإرادة وجهد واتجاه، ومن هذه الأمانة تنبثق سائر الأمانات التي يأمر الله عز وجل أن تؤدى، ومنها: أمانة الشهادة لهذا الدين، الشهادة بمجاهدة النفس، والشهادة بدعوة الناس إليه، الشهادة بإقراره في الأرض منهجاً للبشرية عامة، ومن الأمانات: أمانة التعامل مع الناس ورد أماناتهم إليهم وأمانة المعاملات والودائع المالية، وأمانة النصيحة للراعي والرعية، وأمانة القيام على تربية الأطفال الناشئة، وأمانة المحافظة على حرمات الجماعة وأموالها وثغراتها، وسائر ما يوضحه المنهج الرباني من الواجبات والتكاليف في كافة شؤون الحياة المختلفة.

وأضاف أيضاً – رحمه الله –: أما الحكم بالعدل بين الناس فهو عدل شامل لكل الناس، مؤمنين وكافرين أصدقاء وأعداء سوداً وبيضاً عرباً وعجماً، والأمة المسلمة هي التي لديها مكونات ذلك العدل، وأن الأمر بأداء الأمانات إلى أهلها والحكم بين الناس بالعدل هو تذكير

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٥١٦-٥١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بأنه من وعظ الله سبحانه وتوجيهه، ونعمَّـــا يعظ الله به ويوجه، فالله تعالى يسمع ويبصر قضايا العدل والأمانة.[1]

التوجيهات التربوية

تضمنت الآية الكريمة توجيهات تربوية عديدة نحـــن في أمس الحاجة إليها، لأن الأمانة تشمل جوانب حياتنا كلها، ومن تلك التوجيهات:

أولاً: في جانب العبادات

قال تعالى: [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْـــنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً].[2]

أوضح ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: أن أقوال أهل العلم متفقة على أن الأمانة هي: التكاليف الشرعية، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه إن قام بذلك أثيب، وإن تركها عوقب.[3]

ولا شك أن هذه التكاليف الشرعية ذات أهمية كبرى في حياة المسلم، فعلى هذا الأساس ترد الأسئلة:

هل أدى الإنسان المسلم أركان الإسلام الخمسة وفقاً لشرع الله تعالى ؟ من تحقيق الشهادتين، ومن صلاة، وزكاة، وصوم، وحج ؟ وهل اجتهد في معرفة أركانـــها وواجباتها

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج٢، ص ٦٨٨-٦٨٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسننها ؟ وهل آمن بأركان الإيمان الستة وحققها ؟ كل ذلك وغيره من التكاليف الشرعية مؤتمن عليها الإنسان، فإن لم يؤدها كما أمر الله تعالى فهو مضيع للأمانة، ومقصر في حق الله تعالى، ثم في حق نفسه، وعرَّض نفسه لسخط الله تعالى وأليم عقابه.

ثانياً: في جانب الأسرة

الأسرة نواة المجتمع وسر تكوينه، ولها شأنها العظيم ومكانتها الرفيعة القدر، فبصلاحها يصلح المجتمع بل تصلح الأمة، وتحديداً الوالدان: الأب والأم، فهل قام الأب والأم بتأدية الأمانة الموكلة إليهما تجاه بعضهما البعض بما يرضي الله تعالى ورسوله ؟ وهل قاما بتربية أولادهما التربية الإسلامية الصحيحة ؟ وهل حكم الأب والأم في أولادهما بالعدل فلم يفرقا بينهم بسبب الجنس، أو بسبب تفوق أحدهم في الدراسة على الآخر، وهل.. وهل.. وهل...الخ

إننا بحاجة ماسة جداً إلى القرب من أولادنا ذكوراً وإناثاً في وقت تداخلت علينا الثقافات من شتى بقاع العالم، إننا إذا لم نؤد أمانة تربية أولادنا كما ينبغي فقد عرّضناهم للخطر والذوبان والانصهار في أتون هذه الثقافات التي يتعارض كلها أو جلها مع المبادئ والقيم والثوابت الإسلامية التي هي عزنا وفخرنا وحياتنا، وعرضنا نحن أنفسنا إلى الإثم والمحاسبة بين يدي الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: " كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ ". [1]

وقال صلى الله عليه وسلم: " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... الحديث ".[2] – [3]

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، حديث رقم ١٦٩٤، ج ٢، ص ٥٩، وحسنه الألباني في تعليقه.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلاّ بإذنه، حديث رقم ٢٢٣٢، ج٨، ص ٢٥٣.

(٣) انظر كتابي: الذرية في القرآن الكريم.. دراسة تأصلية لتربية الأولاد في الإسلام، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: في جانب الإدارة

سواء كان قطاعاً حكومياً، أو خاصاً، على نطاق كبير أم نطاق متوسط أم صغير، هل تفقد مدير العمل (القائد الإداري) أعمال موظفيه وتابعها وتحقق من أدائهم لما يناط بهم من أعمال ؟، وهل تم تأديتها على الوجه الأفضل والأكمل ؟ هل اعتنى بتطوير إدارته ؟، هل حرص على الحضور مبكراً ليتأسى به مرؤوسيه ؟، هل حرص على عدم استغلال موظفي الإدارة وما فيها من إمكانات لمصالحه الذاتية ؟، هل عدل بين موظفي إدارته، و لم يميز موظفاً على آخر؟، هل عدل بين المستفيدين من الخدمة التي يؤديها دون مجاملات على حساب العمل ؟، هل.. هل.. هل.. الخ كل ذلك أمانة مسؤول عنها القائد الإداري وسيحاسب عليها.

والأحاديث الشريفة التي تؤكد على وجوب قيام القائد الإداري بأداء واجباته كثيرة جداً، فمن ذلك:

قال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ". [1]

وقال عليه الصلاة والسلام: " اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ " [2]

وقـــال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ وَفَقْرِهِمُ احْتَجَبَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ خُلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَفَقْرِهِ وَفَاقَتِهِ ". [3]

---

(١) م سلم، صحيح م سلم، باب ف ضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم ١٨٢٧، ج ٣، ١٤٥٨.

(٢) م سلم، صحيح م سلم، باب ف ضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم ١٨٢٨، ج ٣، ١٤٥٨.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٨٣٢، ج ٢٢، ص ٣٣١، الألباني، صـــحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٢٠٨، ج٢، ص ٢٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والموظف في عمله أياً كان في القطاع الحكومي، أو القطاع الخاص؛ كل في موقعه، هل أنجز العمل الموكل إليه بإتقان ؟ هل حافظ على وقت الدوام المحدد له؟ هل حافظ على أملاك إدارته و لم يستغلها لصالحه ؟ هل عدل بين المراجعين، و لم يجامل ويحابي أحداً على أحد؟ هل..هل..هل.. الخ.

ومن الأحاديث المؤكدة على إتقان العمل؛ قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ".[1]

رابعاً: في جوانب الحياة كلها

التاجر في متجره، والصانع في مصنعه، وعموم علاقات الإنسان بغيره؛ الوالدان والزوجة والأولاد والأرحام والجيران والأصدقاء، هل أدى كل واحد ما عليه من أمانات لله تعالى أولاً، ثم للذين يتعاملون معهم ثانياً ؟ وهل حكموا بين الناس بالإنصاف والعدل؟

إن أداء الأمانات والحكم بين الناس بالعدل مهمة عظيمة تقوم عليهـــا شؤون الحياة كلها، فكل إنسان على وجه الأرض مسؤول عن ذلك، ويختلف في حجم المسؤولية من شخص لآخر حسب موقعه، لذلك كان لزاماً على الجميع دون استثناء مراقبة الله تعالى فيما أسند إليهم من عمل، وأن يسعوا لكسب رضاه سبحانه وتعالى، ولا يتأتى ذلك إلاّ باتباع أوامره واجتناب نواهيه.

---

(١) أبو يع ـــلى، مسند أبي يعلى، مسند عائشة – رضي الله عنها – حديث رقم ٤٣٨٦، ج ٧، ص ٣٤٩، الطبراني، المعجم الأو سط، حديث رقم ٨٩٧، ج١، ص ٢٧٥، الألباني، ال سل سلة الصحيحة، حديث رقم ١١١٣، ج٣، ص ١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع: الأسرة الصالحة وأثرها في التربية

قال الله تعالى: [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعاً حسناً، كقوله تعالى: [وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً]،[2] [وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً]، وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، وجاء في الحديث الشريف عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ". ٣ – [4]

وقال سيد قطب – رحمه الله – في ظلال هذه الآية: إن القلب الطيب يُشبّه في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض الطيبة، والقلب الخبيث يُشبّه بالأرض الخبيثة وبالتربة الخبيثة، فكلاهما القلب والتربة منبت زرع ومأتى ثمر، القلب ينبت نوايا ومشاعر وانفعالات واستجابات واتجاهات وعزائم وأعمالاً بعد ذلك وآثاراً في واقع الحياة، والأرض تنبت زرعاً وثمراً مختلفاً أكله وألوانه ومذاقاته وأنواعه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم ٧٩، باب فضل من عَلِم وعَلّم، ج١، ص ٤٢.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٢٢٣.

www.alukah.net

ثم قـــال – رحمه الله –: [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ] أي: طيباً خيراً، سهلاً ميسراً، [وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً] في إيذاء وجفوة وفي عسر ومشقة، والهدى والآيات والموعظة والنصيحة تنزل على القلب كما ينزل الماء على التربة، فإن كان القلب طيبـــاً كالبلد الطيب تَفَتّح واستقبل وزكا وفاض بالخير، وإن كان فاسداً شريراً استغلق وقسا وفاض بالشر والفساد والضر وأخرج الشوك والأذى كما تخرج الأرض النكدة، وقوله تعـــالى: [كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ] والشكر ينبع من القلب الطيب ويدل على الاستقبال الطيب والانفعال الطيب، ولهؤلاء الشاكرين الذين يحسنون التلقي والاستجابة تصرف الآيات، فهم الذين ينتفعون بها ويصلحون لهـــا ويصلحون بها. ١

التوجيهات التربوية

تضمنت الآية الكريمة توجيهات تربوية ذات أهمية كبيرة في حياتنا، ومن هذه التوجيهات، ما يلي:

أولاً: ضرب الله تعالى في الآية مثلاً للمؤمن والكافر؛ وأسلوب المثل معروف في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد أُلفت فيه الكتب الكثيرة، وضرب الأمثال من الأساليب التربوية المهمة التي تُقَرِّب المعاني وتوصل المعلومات واضحة جلية للمتعلمين.

والآيات الدالة على ضرب الأمثال في القرآن الكريم كثيرة منها: قال تعالى: [مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ]، [٢] وقـــوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ]،[٣] وقـــوله تعالى: [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٣٠٠.

(٢) سورة البقرة:، الآية: ١٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية:٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ].[1]

وقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ]، [2] وقوله تعالى: [ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُون].[3]

وبالإضافة إلى أهمية ضرب المثل في تقريب المعاني وتوصيل المعلومات، فيه جانب تربوي آخر هو: جانب التشويق ولفت انتباه المتعلم ودفع السآمة والملل حتى يكون تركيزه أعمق وتقبله للمعلومات أكبر، ولهذا ينبغي على المعلمين والمربين والمصلحين والدعاة إلى الله تعالى العناية والاهتمام بضرب الأمثال المناسبة في دروسهم ومحاضراتهم وندواتهم لتقريب المعلومات وإيصالها إلى أفهام المتعلمين لتحصل لهم الفائدة المرجوة بعون الله تعالى.

ثانياً: الأسرة نواة المجتمع ومنطلق صلاح أفرادها من عدمه، فإذا تم تنشئة الأسرة على تقوى من الله تعالى كانت منبتاً حسناً لأفرادها ذكوراً وإناثاً، ومعيناً صالحاً للمجتمع والأمة، أما إذا تم تنشئتها والعياذ بالله تعالى على فجور وارتكاب للمعاصي والمحرمات، فلا شك أنها ستصبح بؤرة فساد وخطر عظيم في المجتمع.

ثالثاً: شكر الله سبحانه على النعم مطلب أساس، قال الله تعالى: [قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ]،[4] وقال تعالى: [بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِين].[5]

---

(١) سورة النحل، الآية:٧٥.

(٢) سورة الحج، الآية:٧٣.

(٣) سورة الزمر، الآية:٢٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية:١٤٤.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشكر ديدن الأنبياء والصالحين الذين عرفوا قدر ربهم، وأنهم مهما عملوا من أعمال فهم مقصرون لأن نعم الله تعالى عليهم لا تعد ولا تحصى.

إن مثالنا وقدوتنا في كل أعمالنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عن السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ".[1]

ولا شك أن للشكر فوائد جمة تعود مصلحتها للشاكر نفسه، قال تعالى: [وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ].[2]

وقال تعالى: [وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ].[3]

ومن فوائد الشكر

١- زيادة النعم، قال تعالى: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ].[4]

٢- والشكر: قيد الموجود، وصيد المفقود.[5]

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم ٢٨٢٠، ج٤، ص ٢١٧٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٣) سورة لقمان، الآية:١٢.

(٤) سورة إبراهيم، الآية:٧.

(٥) البغوي، معالم التنزيل، ج٤، ص ٣٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- تيسير الأمور وصلاح الحال والمآل، قال تعالى: [وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ].[١] وقال تعالى: [وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ].[٢]

ولذلك ينبغي على المسلم الحرص التام على مداومة الشكر للمنعم سبحانه وتعالى على كل الأحول ليحصل له الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

رابعاً: إن سنة الله تعالى في خلقه أن جعل في الناس الطيب والخبيث، والتوفيق إلى الأعمال الطيبة ديدن الطيبين، أما الأعمال الخبيثة فهي ديدن الخبيثين، وهي من تقصيرهم، إضافة إلى ميل كل جنس إلى ما يشاكله، فالخبيث يميل إلى مثله، وكذلك الطيب يميل إلى جنسه، قال تعالى: [الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ].[٣]

قال القرطبي – رحمه الله –: وكلٌ يسعى ويقترب ويتودد إلى ما يشاكله، فكما قال تعالى: [قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً]،[٤] والمعنى أن كل أحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها.[٥]

فالمسلم العاقل الموفق يسعى ويحرص على اتباع منهج الله تعالى قولاً وفعلاً، فتكون كل أعماله ظاهرة وباطنة صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها أعمالاً طيبة صالحة ويبتعد عن الأعمال الخبيثة، ويستعين في كل ذلك بالرفقة الصالحة المعينة والمرشدة للخير والصلاح.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية:٨٤.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٣٢٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامساً: إن الرفقة الصالحة الطيبة تحث عليها العديد من التوجيهات في التربية الإسلامية، وهي بلا شك من نتاج الأسرة الصالحة التي تربت على مبادئ الإسلام السامية، وكم شاهدنا ولمسنا تأثير الرفقة الصالحة على الآخرين وكانت نقطة تحول في حياة الكثير من الناس، فبعد أن كانوا في غواية وضلال أصبحوا في هداية وخير وصلاح.

ومن التوجيهات في ذلك

ما ورد عن أبي موسى – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً ".[1]

علق الإمام النووي – رحمه الله – على هذا الحديث فقال:

" إن فيه تمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة ".[2]

لذلك ينبغي أن يحرص المربون جميعاً خاصة أولياء الأمور منهم على حسن اختيار الرفقة الصالحة لأولادهم، والتنبيه عليهم بمصاحبة الأخيار، وبيان سلبيات وأخطار الرفقة السيئة لهم، ومتابعة ذلك متابعة دقيقة وحكيمة.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم ٢٦٢٨، ج ٤، ص ٢٠٢٦.

(٢) النووي، شرح مسلم، ج ١٦، ص١٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سادساً: إن الركون والاستسلام للواقع السيء الذي قد يعيش فيه الإنسان دون البحث والنظر والتأمل والسعي للتغيير نحو الأصلح دلالة الضعف والعجز والكسل، وهو ما لا يقره الإسلام البتة لأن ذلك أدعى إلى التخلف وإفراز جيل من الشباب المسلم الكسول المتواكل.

ولذلك نجد أن الإسلام يوجه بالحرص على البحث عن الحقيقة أينما وجدت والأخذ بها، فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا ".[1]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ".[2]

ولذلك ينبغي على المسلم أن يحرص كل الحرص على العمل والاجتهاد بكل الوسائل الشرعية الممكنة، مع السعي إلى تطوير مستواه العلمي والعملي باستمرار، والأخذ بكل جديد ومفيد يحقق من خلاله التقدم والرقي لمجتمعه وأمته.

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم ٢٦٨٧، ج ٥، ص ٥١)، وضعفه الألباني في تعليقه. ورواه ابن ماجه في سننه، الحكمة، حديث رقم: ٤١٥٩، ج ١٢، ص ٢٠٥. والحديث معناه صحيح ومشهور وكثير الاستشهاد به، فالمسلم أحق من غيره في الأخذ بكل صالح مفيد، وقد أجاز بعض العلماء الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم ٢٦٦٤، ج ٤، ص ٢٠٥٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الخامس: تقوى الله تعالى طريق الفلاح

قال الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ].[1]

قال الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: إن الذين اتقوا الله تعالى من خلقه فخافوا عقابه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه إذا مسهم طائف من الشيطان من غضب، أو أي عارض كان مما يصد عن واجب حق الله تعالى عليهم تذكروا عقاب الله عز وجل، وثوابه، ووعده، ووعيده، وأبصروا الحق، فعملوا به وانتهوا إلى طاعة الله جل جلاله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان.

[وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ]، أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي، أي: يزيدونهم ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان، وإنما هذا خبر من الله تعالى عن فريقي الإيمان والكفر، بأن فريق الإيمان وأهل تقوى الله تعالى إذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله سبحانه وعقابه فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم إلى التوبة والإنابة إلى الله جل وعز مما كان منهم من زلة، وإن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله سبحانه، ولا يحجزهم تقوى الله تعالى، ولا خوف المعاد إليه عن التمادي فيها والزيادة منها.[2]

وقال السيوطي – رحمه الله –: إن الذين اتقوا هم المؤمنون، وفي قوله إذا مسهم طائف من الشيطان، قال: الغضب، وقيل: اللمة من الشيطان، وقيل: الهمّ بالفاحشة، وعدم العمل بها، وقيل: زلوا ثم تابوا.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج٩، ص١٥٧-١٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم أشار – رحمه الله – إلى ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان من طريق وهب بن جرير عن أبيه قال: كنت جالساً عند الحسن إذ جاءه رجل فقال يا أبا سعيد: ما تقول في العبد يذنب الذنب ثم يتوب قال: لم يزدد بتوبته من الله إلا دنواً، قال: ثم عاد في ذنبه ثم تاب قال لم يزدد بتوبته إلا شرفاً عند الله، قال: ثم قال: ألم تسمع ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قلت: وما قال ؟ قال: " مثل المؤمن مثل السنبلة، تميل أحياناً، وتستقيم أحياناً، وفي ذلك تكبر، فإذا حصدها صاحبها حمد أمره كما حمد صاحب السنبلة بِرَّهُ "، ثم قرأ قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ]، ١- ٢ [وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ] قال: هم الجن يوحون إلى أوليائهم من الإنس، [ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ] أي: لا يسأمون.[٣]

قواعد عامة مهمة

تتضمن الآية الكريمة قواعد عامة مهمة تجدر الإشارة إليها كتمهيد للتوجيهات التربوية المتضمنة في الآيتين المشار إليهما، ومن هذه القواعد، ما يلي:

أولاً: إن الزلل والانحراف عن منهج الله تعالى ليس قاصراً على الإنسان المسلم العامي، أو الجاهل، بل حتى المؤمن المتقي الله تعالى – على الرغم من تقواه ومعرفته بالحلال والحرام – قد ينتابه شيء من التقصير، أو اقتراف بعض الذنوب لأي سبب من الأسباب، لأن الجميع بشر ليسوا معصومين من الزلل البتة، كما جاء في حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان، حديث رقم ٦٦٩٤، ج ٩، ص ٣٠٦، أحمد، المسند، مسند جابر بن عبد الله – رضي الله عنه –، حديث رقم ١٤٧٠٩، ج ٣٠، ص ٢٥٩، انظر: الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٢٢٨٤، ج ٥، ص ٢٨٣.

(٣) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٣، ص ٦٣٢-٦٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ".[1]

ثانياً: إضافة إلى عجز الإنسان وقصوره، فإن الشيطان يتربص به الدوائر فهو ألدُّ أعدائه،كما أخبر بذلك المولى سبحانه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: [إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ]،[2] وقوله: [إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً].[3]

قال أبو السعود – رحمه الله – في تفسير الآية من سورة يوسف المشار إليها: عداوته قديمة وظاهرة فلا يألو جهداً في إغوائك وإضلالك وحملك على ما لا خير فيه.[4]

وتخيّل أيها الإنسان المسلم ماذا يفعل هذا العدو المبين من خطوات ومؤامرات محكمة للإيقاع بك وإغوائك عن سبيل المؤمنين والصالحين ؟ **فانتبه لخطواته ونزغاته وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ دائم منه !!**

ثالثاً: المتقون يتميزون عن غيرهم إنْ وقعوا في شيء من الذنوب والمعاصي والزلات لم يستمرئوها ويتلذذوا ويجاهروا بها كما يفعله بعض المقصرين، فسرعان ما يتذكرون عظمة الله تعالى وقدرته وأليم عقابه ويصحون من غفلتهم ويعودون إلى خالقهم عالم السر وأخفى متذللين مستغفرين نادمين على ما اقترفوه من ذنب وتجاوزٍ لحدود الله تعالى وحرماته، لأنهم

---

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، حديث رقم: ٤٢٥١، ج ٢، ص ١٤٢٠، وحسنه الألباني في تعليقه.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٤، ص ٢٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على علم ومعرفة تامة بأن الله تعالى غفور رحيم، وهـــو القائل سبحانه: [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا].[1]

(١) سورة النساء، الآية:١١٠.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

التوجيهات التربوية

احتوت الآية الكريمة على توجيهات تربوية عديدة نحـــن في أمس الحاجة إليها، ومن هذه التوجيهات، ما يأتي:

أولاً: إن الإنسان بعامة ينتابه حالة من الضعف، والقصور البشري، وقد أشار القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى أنواع من هذا القصور، فهو: (كفّـــار، كفور، خصيم مبين، ضعيف، عجول، قتور، أكثرُ شيء جدلاً، ظلوم جهول، هلوع، لربه لكنود... الخ).

وعلى المهتمين بالعملية التربوية والتعليمية وإصدار اللوائح والقوانين في المجتمع التي تنظم شؤون الناس في كافة المجالات أن يراعوا هذه الحالات من الضعف والقصور، وخصوصاً عند وضع المناهج الدراسية، وعند تطبيق مبدأ الثواب والعقاب، وعند الامتحانات الدراسية، وعند القبول في الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس، وغير ذلك، لأن مراعاة هذه الطبيعة البشرية يوجد حالة من التوازن والتجانس والتكيف بين الفرد وبين المجتمع الذي يعيش فيه فيعيش المجتمع بعامة والفرد بخاصة في أمن واستقرار وسلام.

ثانياً: العناية التامة بالإكثار من ذكر الله تعالى على الدوام وفي كل الأحوال، بقراءة القرآن الكريم، والمحافظة على الأذكار المشروعة أدبار الصلوات المفروضة، والحرص على الأوراد الشرعية صباحاً ومساءً، امتثالاً لقوله تعـــالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً].[1]

فكل ذلك وسيلة من وسائل حفظ الأمن للإنسان المسلم والمجتمع المسلم من نزغات الشيطان وإغوائه، فالخير كله في ذكر الله تعالى والقرب منه، فمن كان لله أقرب كان عن الشيطان أبعد.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤١-٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: الاستعاذة من الشيطان ونزغاته، قال تعالى: [وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ].[1]

قال ابن عاشور – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية: إن فائدة الاستعاذة تجديد داعيةِ العصمة المركوزة في نفس النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للعصمة وصقل لزكاء النفس مما قد يقترب منها من الكدرات، فبذلك تسلم نفسه صلى الله عليه وسلم من أن يغشاها شيءٌ من الكُدُرات، ويلحق به في ذلك صالح المؤمنين.[2]

رابعاً: الأوبة والعودة إلى الله تعالى في حالات المنشط والمكره والعسر واليسر، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ].[3]

فمن تعرف على الله تعالى في الرخاء وجد الله تعالى معه في الشدة، كما جاء ذلك في الحديث المشهور عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ".[4]

خامساً: اجتناب الرفقة السيئة، والحرص عل مصاحبة الأخيار الذين يعينون على طاعة الله تعالى والتمسك بأوامره واجتناب نواهيه. قال الله تعالى: [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ

---

(١) سورة فصلت، الآية:٣٦.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٩١.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٤) ابن حنبل، المسند، مسند عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – حديث رقم ٢٦٦٦، ج ٦، ص ١٩٨، وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا].[1] - [2]

سادساً: محاسبة النفس لما تقوم به من أعمال وما تتلفظ به من أقوال وفق ميزان الشرع، قال تعالى: [مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ]،[3] وقال تعالى: [وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً]،[4] ولاشك أن محاسبة النفس دليل خير وفلاح، ويتأتى معها بتوفيق الله الاستقامة والصلاح.

سابعاً: تذكر عقاب الله تعالى وثوابه ووعده ووعيده، قال تعالى: [وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ]، [5] وقال تعالى: [وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً].[6] فمن تذكر محاسبة الله تعالى له في كل أموره ودقق وراقب كل أقواله وأفعاله ومعاملاته فلا شك سيكون حسابه سهلاً ميسراً، وينال بفضل الله ورحمته ما أعده الله تعالى له من الخير والسعادة.

ثامناً: الابتعاد عن اقتراف الذنوب والمعاصي كبيرها وصغيرها قليلها وكثيرها وعدم الإصرار عليها، قال تعالى: [وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ].[7]

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) انظر: التوجيه الخامس عن الرفقة الصالحة ضمن المبحث الرابع: الأسرة الصالحة وأثرها في التربية.

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

(٦) سورة مريم، الآية: ٧١-٧٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاسعاً: وجوب التفقه في دين الله تعالى، والاستزادة من العلوم الشرعية على وجه الخصوص لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ".[1] لأن الذي لا يتعلم ولا يتفقه في الدين لم يرد الله به خيراً والعياذ بالله تعالى، وبالتالي فإنه قد يقع في الكثير من المحرمات والمحظورات الشرعية التي بسببها ربما يعيش معيشة ضنكاً في الدنيا والآخرة ويجر على نفسه ومجتمعه وأمته المصائب والنكبات.

عاشراً: وجوب إخلاص النية لله تعالى لأن العبد إذا أخلص أعماله لله سبحانه،كان ذلك سبباً لبعد الشيطان عنه، وقد أكد ابن تيمية – رحمه الله – ذلك بقوله: " إن إخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب كما قال تعالى: [وَلَقَدْ هَـ+مَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ].[2] ٢ – ٣

المبحث السادس: من آداب القرآن الكريم

قال الله تعالى: [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعوا لهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ].[4]

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم ٧١، ج ١، ص ٣٩.

(٢) سورة يوسف، الآية:٢٤.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ج ١٤، ص ٣٣٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الطبري – رحمه الله –: إن المؤمنين بالله، المصدقين بكتابه، الذين القرآنُ لهم هدى ورحمة، إذا قُرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن أصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه لتعقلوه وتتدبروه ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه، لعل الله يرحمكم باتعاظكم بمواعظه واعتباركم بعبره واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه.[1]

وقال السعدي – رحمه الله – في تفسيره: إن هذه الآية عامة في كل من سمع كتاب الله يُتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن الاستماع.

وأما الاستماع له فهو أن يُلقي سمعه وقلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يُتلى كتاب الله فإنه ينال خيراً كثيراً، وعلماً غزيراً، وإيماناً مستمراً متجدداً، وهدى متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلي عليه كتاب الله، فلم يستمع له و لم ينصت، أنه محروم الحظ، من الرحمة قد فاته خير كثير.[2]

التوجيهات التربوية

تتضمن الآية الكريمة الإشارة إلى جانب عظيم في حياة المسلم ألا وهو: الأدب مع القرآن الكريم كلام رب العالمين، ذلك لأن بالسماع والإنصات إليه يكتسب الإنسان المسلم الفضائل الدينية والدنيوية، وينال به الرحمات من الله تعالى، ومن التوجيهات التربوية في ذلك:

أولاً: حصول الخير والأجر العظيم من الله تعالى عند سماع القرآن الكريم والإنصات إليه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ وَمَنْ تَلَاهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".[3]

---

(١) الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج ٩، ص ١٦١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣١٤.

(٣) ابن حنبل، المسند، مسند أبي هريرة – رضي الله عنه – حديث رقم ٨٤٩٤، ج ١٤، ص ١٩١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبحمد الله تعالى توافرت اليوم في مختلف البلاد العربية والإسلامية كل الوسائل المعينة على سماع القرآن الكريم سواء عبر وسائل الإعلام المختلفة التي خصصت قنوات قرآنية تلفازية أو إذاعية، أو عبر شبكات الاتصال الحديثة اليوم، فلا يجد المسلم بفضل الله تعالى وكرمه أدنى صعوبة في سماع القرآن الكريم في أي وقت شاء من ليل أو نهار وللعديد من قرَّاء القرآن الكريم المعروفين والمشهورين قديماً وحديثاً.

وهذه نعمة عظيمة من الله تعالى يجب على المسلم استغلالها والمحافظة عليها بأن يحرص كل الحرص أن تكون كل أوقاته عامرة بالقرآن الكريم، فمن وفق لذلك فقد نال خيري الدنيا والآخرة.

ثانياً: يكفي القرآن الكريم مهابة وعظمة وشوقاً إلى سماعه والإنصات إليه أنه كلام رب العالمين جلَّ جلاله، فلو نزل على جبل أشمّ لخشع وتصدع من خشية الله سبحانه، قال تعالى: [لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون].[1]

ثالثاً: قوة تأثير القرآن الكريم في النفوس عند سماعه، ولقد حكى القرآن الكريم سماع الجن له وتأثرهم به، فقال تعالى: [قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً][2]، وقال تعالى: [وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِين].[3]

أضف إلى ذلك تأثر بعض كفار قريش به لما سمعوه ونعتوه بأوصاف تدل على عمق تأثرهم به وإن لم يرد الله الهداية لهم، فقد أورد الحاكم في المستدرك " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال يا عم: إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال لِـمَ: قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك

---

(١) سورة الحشر، الآية:٢١.

(٢) سورة الجن، الآية:١-٢.

(٣) سورة الأحقاف، الآية:٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنك منكر له، أو إنك كاره له، قال ومـــاذا أقول: فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وأنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى... الخ ". [1]

فعلى المسلم إذا أراد سعادة الدارين ومرضاة رب العالمين، وإذا أراد الاستقرار النفسي والهداية لكل شؤون الحياة والتوفيق في كل أموره، فعليه العناية التامة بالقرآن الكريم سماعاً وقراءة وتدبراً وتطبيقاً.

رابعاً: التفاعل الإيجابي مع القرآن الكريم عند سماعه تأسياً بقدوتنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فَعَنْ حُذَيْفَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَفِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ.[2]

وَعَنْ جَابِرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] قَالُوا لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ. ٣

ولا شك أن هذا التفاعل الإيجابي دليل على التفكر والتأمل لآيات الله تعالى التي أمرنا بتدبرها، ويجعل المسلم في الوقت ذاته يستشعر عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعظمة كتابه ويتعلق القلب بحبهما واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

---

(١) الحاكـــم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، تفسير ســـورة المـــدثر، ج ٢، ص ٥٥٠، وصححه الذهبي في تعليقه.

(٢) الترمذي، باب التسبيح في الركوع والسجود، حديث رقم ٢٦٢،ج٢، ص ٤٨، وصححه الألباني في تعليقه.

(٣) الترمذي، سنن الترمذي، سورة الرحمن، حديث رقم ٣٢٩١،ج٥، ص٣٩٩، وحسنه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: على طلاب تحفيظ القرآن الكريم استشعار عظمة ما يتلونه ويحفظونه مع مراعاة عدم الاستعجال، ومراعاة حسن الاستماع والإنصات للقرآن الكريم، لتكون قراءتهم قراءة صحيحة يحصل لهم بها الهداية والصلاح انطلاقاً من توجيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: [فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ].[1]، ويقول ابن كثير – رحمه الله – أي: فاستمع له وأنصت.[2]

سادساً: ومن حسن الاستماع والإنصات عدم الانشغال بأمور تنم عن اللامبالاة بالقرآن الكريم، كالحديث في أمور الدنيا غير الضرورية، أو الضحك والمزاح، ويؤكد الإمام النووي – رحمه الله – على ذلك فيقول: ومما يُعتنى به ويتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، فمن ذلك: اجتناب الضحك، واللغط، والحديث خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه، وليمتثل قول الله تعالى: [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ].[3]– [4]

سابعاً: ثناء الله تعالى على المستمعين المتأثرين به، وأنعم به من ثناء، فقال تعالى: [وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً]، [5] وقال تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ]، [6] وقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً]،[7] وقال تعالى: [وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ].[8]

---

(١) سورة القيامة، الآية: ١٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٤) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ج١، ص٤٧.

(٥) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية:٢.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ١٠٧-١٠٩.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثامناً: اقتران حسن الاستماع والإنصات بالتدبر والتفكر في كلام الله تعالى والعمل به، فذلك أكمل وأرقى، وهو المقصود الأسنى، قال تعالى: [الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ][1]، وقال تعالى: [أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ][2]، وقال تعالى: [أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا][3].

تاسعاً: إن الإعراض عن السماع والإنصات لكلام الله تعالى يعد هجراً للقرآن الكريم، وفيه تشبه بالمتكبرين والكفار، قتال تعالى: [وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ][4]، وقال تعالى: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ][5]، وقال تعالى: [وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً][6].

ولا شك أن هجر القرآن الكريم والتشبه بأحوال غير المسلمين مخالفة شرعية، يكفي أن تكون عقوبتها عدم التوفيق للهداية إلى توجيهاته التي تهدي للتي هي أقوم في كل شؤون الحياة، وحرمان التلذذ والاستئناس والسعادة بكلام الله تعالى التي هي رجاء كل تقي وغاية كل مؤمن.

عاشراً: لا شك أن الصوت الحسن الندي له دور كبير في الإقبال على القرآن الكريم والحرص على سماعه، لأن النفس البشرية تميل إلى ذلك، بل وتشتاق إليه، وهو في الوقت نفسه دعوة إلى الله تعالى، وكم سمعنا عن أناس اهتدوا إلى الإسلام وإلى الالتزام والاستقامة على طريق الخير بسبب الصوت الحسن لبعض قراء القرآن الكريم.

إن الأحاديث الواردة في تحسين الصوت بالتلاوة والتغني بالقرآن كثيرة، فمنها:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٢) سورة المؤمنون،: ٦٨.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٧.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأول: قـــال صلى الله عليه وسلم: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ ".[1]

الثاني: قـــال صلى الله عليه وسلم: " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ".[2]

الثالث: قـــوله صلى الله عليه وسلم: " مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ ".[3]

ولهذا ينبغي على من حباه الله تعالى صوتاً نديا مؤثراً أن يتوجه مباشرة لتعلم القرآن الكريم، ويجب على الوالدين الاعتناء بهذا الأمر منذ وقت مبكر عندما يلحظان ذلك في أولادهم، فهي والله نعمة عظيمة يمتن الله تعالى بها على عباده.

وإجمالاً فيجب على قارئ القرآن الكريم تحسين صوته فإن كان حسناً فبها ونعمت، وإن لم يكن فيعمل ما يستطيع لتحسينه دون تكلف ليجـــذب إليه السامعين فيتلذذون بكلام ربهم سبحانه وتعالى، وينتقل إلى أعماق أفئدتهم فيحدث لهم التأثير المطلوب للالتزام بأوامره واجتناب نواهيه.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب قول الله: وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور، حديث رقم ٧٥٢٧، ج ٢٤، ص ٤٠٢.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، باب: استحباب الترتيل في القراءة، حديث رقم ١٤٧٠، ج ١، ص ٥٤٨، وصححه الألباني في تعليقه.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب من لم يتغن بالقرآن، حديث رقم ٥٠٢٣، ج ١٧، ص ٢١.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السابع: الاختلاف سنة كونية

قال الله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ].[1]

قال الطبري – رحمه الله –: أي: ولو شاء ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة واحدة ودين واحد، وقيل: لجعلهم مسلمين كلهم، والاختلاف الذي وصف الله تعالى الناس أنهم لا يزالون به، فقال بعضهم: هو الاختلاف في الأديان: نصراني، ومجوسي، ونحو ذلك، واستثنى الله من ذلك من رحمهم وهم أهل الإيمان، وقال آخرون: بل معنى ذلك ولا يزالون مختلفين في الرزق فهذا غني وهذا فقير سخر بعضهم لبعض، وقال بعضهم: مختلفين في المغفرة والرحمة.

وأما قوله: [وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ] قيل معناه: للاختلاف خلقهم، وقيل: خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه، وقيل: خلقهم فريقين فريقاً يُرحم فلا يختلف وفريقاً لا يُرحم يختلف، وذلك قوله: [فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ]،[2] وقيل: وللرحمة خلقهم، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، وأما قوله: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون جهنم بكفرهم بالله ومخالفتهم أمره.[3]

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٨-١١٩.

(١) سورة هود، الآية: ١٠٥.
(٢) الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج ١٢، ص ١٤١ – ١٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال سيد قطب – رحمه الله –: لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد نسخاً مكررة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها، وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على الأرض، وليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض.

ولقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه، وأن يختار هو طريقه، ويحمل تبعة الاختيار، ويجازى علي اختياره للهدى أو للضلال، هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته، فالذي يختار الهدى كالذي يختار الضلال سواء في أنه تصرف حسب سنة الله في خلقه، ووفق مشيئته في أن يكون لهذا المخلوق أن يختار، وأن يلقى جزاء منهجه الذي اختار.

لقد شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين، وأن يبلغ هذا الاختلاف أن يكون في أصول العقيدة – إلا الذين أدركتهم رحمة الله – الذين اهتدوا إلى الحق فاتفقوا عليه، وهذا لا ينفي أنهم مختلفون مع أهل الضلال.

وقوله تعالى: [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] يفهم أن الذين التقوا على الحق وأدركتهم رحمة الله لهم مصير آخر هو الجنة تمتلئ بهم كما تمتلئ جهنم بالضالين المختلفين مع أهل الحق والمختلفين فيما بينهم على صنوف الباطل ومناهجه الكثيرة.[1]

التوجيهات التربوية

قبل الإشارة إلى أهم التوجيهات التربوية التي تضمنتها الآيتان الكريمتان يحسن القول: إن سنة الاختلاف هذه التي قررها خالق الكون وخالق الإنسان سبحانه وتعالى تأتي لكي يستقيم الوجود وتتوازن حركته وفق معطيات خالقه، فتخيل لو كان الناس كلهم مهتدين على دين الإسلام – ولا شك أن الله قادر على ذلك – فما الحاجة إذاً إلى إرسال الرسل عليهم

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة والسلام، وما الحاجة إلى إنزال الكتب السماوية، وما الحاجة إلى الوعد بالجنة والوعيد بالنار أصلاً، ولو كان الناس كلهم يجيدون فقط مهنة واحدة، مهنة الطب مثلاً لتعطلت حركة الحياة، لأن هناك مهناً متنوعة وكثيرة يحتاجها الناس في المجتمع الواحد، فمنها: مهنة الهندسة، ومهنة النجارة، ومهنة الخبازة، ومهنة الجزارة، ومهنة الخياطة، ومهنة الحدادة، إلى غير ذلك مما يحتاجه المجتمع، ولذلك قال الله تعالى: [أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ].[1]

وقال سيد قطب – رحمه الله – إن التفاوت في الرزق هو الذي يسخر هذا لذاك، ويسخر ذاك لهذا في دورة الحياة، العامل مسخر للمهندس ومسخر لصاحب العمل والمهندس مسخر للعامل ولصاحب العمل، وصاحب العمل مسخر للمهندس وللعامل على السواء، وكلهم مسخرون للخلافة في الأرض بهذا التفاوت في المواهب والاستعدادات، والتفاوت في الأعمال والأرزاق.[2]

أما عن التوجيهات التربوية فقد تضمنت الآيتان الكريمتان العديد من التوجيهات، فمن ذلك:

أولاً: العناية والاهتمام بتوجيه العاملين والطلاب في مختلف المستويات إلى الأعمال والتخصصات العلمية المناسبة لقدراتهم ومهاراتهم وميولهم واتجاهاتهم، لأن لكل منهم قدرات ومهارات وميول واتجاه تختلف عن الآخر، وهذا التوجيه لو وضع موضع التنفيذ لقضينا على كثير من المشاكل الاقتصادية والإدارية والتعليمية التي نعاني منها اليوم لأنه سيوضع كل شخص

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص ٣١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في مكانه المناسب، وهذا التوجيه يأتي متوافقاً مع القاعدة الإدارية الشهيرة: " وضع الموظف المناسب في المكان المناسب".

ثانياً: اقتضت مشيئة الله تعالى وقدرته أن يكون لهذا الكون بما فيه نظام دقيق محكم وسنن ثابتة لحركاته وسكناته، وما الاختلاف (**موضوع الآية**) إلا سُنة واحدة من السُنن الإلهية العديدة، ولكن الله تعالى قادر على أن يفعل ما يريد في هذا الكون في أي لحظة فهو من مخلوقاته سبحانه وتعالى ولا معقب لحكمه، وإن النظر والتأمل في سُنن الله تعالى الكونية والاجتماعية يقوي الإيمان وينميه هذا من جهة، ومن جهة ثانية الحرص على معرفتها والأخذ بها في شؤون الحياة المختلفة لأن بها تسير الحياة وتنتظم شؤونها.

ثالثاً: بذل أقصى الوسع لنشر الإسلام (**مذهب أهل السنة والجماعة**)، واتخاذ كافة السبل الممكنة للدعوة إلى الله تعالى ولهداية الناس إلى سبيل الرشاد، قال تعالى: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ][1]، والتصدي للمذاهب والملل والأفكار الفاسدة، وتفنيد الشبهات الموجهة للإسلام والمسلمين والرد عليها بأسلوب حكيم يتوافق مع تطورات العصر العلمية والتقنية والثقافية، قال تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ][2].

رابعاً: سعة رحمة الله تعالى بعباده المهتدين السائرين على منهجه ووفق شرعه، من منطلق قوله تعالى: [إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ][3]، وفي ذلك توجيه للمربي والمعلم المسلم ومن بيده السلطة والمسؤولية في كل موقع يتعامل فيه مع آخرين سواء علاقة مباشرة أو غير مباشرة

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

أن تكون الرحمة والرأفة والشفقة شعاراً وتطبيقاً له في تربيتهم وتعليمهم وتوجيههم وإرشادهم، ولا شك أن لذلك مردوداً إيجابياً كبيراً في حصول الاستقرار والاطمئنان في نفوس المتعامل معهم يعود بالخير والنفع العظيم على الفرد والمجتمع والأمة المسلمة بأسرها.

خامساً: إن لكل قطاع وجهاز إداري في المجتمع تخصصات تختلف عن الآخر، فعلى المؤسسات التربوية المختلفة توفير التخصصات العلمية المناسبة لتلك القطاعات والأجهزة الإدارية لسد احتياجاتهم من الكوادر البشرية المناسبة، لتستقيم الحياة وتتوازن حركتها في منظومة عملية وإدارية أكثر تناغماً يعود نفعها وخيرها على إسعاد المجتمع والأمة.

سادساً: إن تذكر عظمة الله تعالى وقدرته وجزاء عقابه للعصاة والمنحرفين عن منهجه القويم فيه تربية إيمانية وتوجيه للسلوك الإنساني للحذر من الوقوع في المعاصي والذنوب ليكون دائم الاتصال بالله تعالى حتى لا تجره الانحرافات والذنوب إلى البؤس والشقاء في الدنيا والآخرة.

المبحث الثامن: أهمية العمل المثمر

قال الله تعالى: [وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ].[1]

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القرطبي – رحمه الله –: إن في الآية خطاباً لجميع الناس بأن الله تعالى مطلع على أعمالهم، وفي الخبر لو أن رجلاً عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائناً من كان.[1] – [2]

وقال ابن كثير – رحمه الله – هذا وعيد من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: [يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ]،[3] وقال تعالى: [يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ]، [4] وقال: [وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُور]،[5] وقد يُظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا.[6]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: إن المنهج الإسلامي منهج عقيدة وعمل يصدق العقيدة، فمحك الصدق في التوبة هو العمل الظاهر، يراه الله تعالى ورسوله والمؤمنون، فأما في الآخرة فمرد المذنبين إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الجوارح وكوامن الصدور، وإن الندم والتوبة ليسا نهاية المطاف، ولكنه العمل الذي يعقب الندم والتوبة، فيصدق أو يكذب تلك المشاعر النفسية أو يكتسحها بعد أن تكون !!

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨ ص ٢٥٢.

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، حديث رقم ٧٨٧٧، ج ٤، ص ٣٤٩، وصححه الذهبي في تعليقه.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

(٤) سورة الطارق، الآية: ٩.

(٥) سورة العاديات، الآية: ١٠.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ٣٨٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الإسلام منهج حياة واقعية لا تكفي المشاعر والنوايا ما لم تتحول إلى حركة واقعية، وللنية الطيبة مكانها، ولكنها هي بذاتها ليست مناط الحكم إنما هي تحسب مع العمل فتحدد قيمة ذلك العمل، وهـــذا معنى الحديث " إِنَّمَـــا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ "،[1] الأعمال..لا مجرد النيات! [2]

التوجيهات التربوية

تضمنت الآية الكريمة مجموعة من التوجيهات التربوية، ومن أبرزها، ما يلي:

أولاً: توجيه الإسلام إلى أهمية العمل المثمر في الحياة، العمل الذي يتحقق معه النفع للناس بعامة والمسلمين منهم على وجه الخصوص، وفي مقابل ذلك الابتعاد عن الأعمال السيئة والأعمال الدنيئة، ولا يتأتى ذلك إلاّ بتوفيق الله تعـــالى أولاً [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ]،[3] ثم بإخلاص النية لله تعالى وبالصبر والمثابرة والجد والاجتهاد.

وهنا يأتي الدور الرئيس للمؤسسات التربوية المختلفة للعمل على التوجيه والإرشاد المبكر للناشئة من أبناء المسلمين بأهمية الاستقامة على منهج الله تعالى واختيار الأعمال ذات النفع والفائدة، والتي توصل إلى معالي الأمور والابتعاد عن سفسافها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق، ويبغض سفسافها. " [4]

ثانياً: أهمية استشعار عظمة قدرة الله تعالى، وأن علمه محيط بكل شيء، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، صغيراً كان أم كبيراً، في السر أم في العلانية، وبغرس هذه المعاني الإيمانية في النفوس

---

(١) البخاري، باب كيف كـــان بدء الـــوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ١، ج ١، ص ٦.

(٢) قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٧٠٨-١٧٠٩.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٤) الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم ٣٠٥٥، ج ٧، ص ١١، الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ١٣٧٨، ج ٣، حديث رقم ٤٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة وبيان دلائلها من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وإيضاح تطبيقاتها العملية على الواقع من خلال الأحداث اليومية الجارية سيكون له تأثيره البالغ بإذن الله تعالى في شحذ الهمم والعمل الجاد المثمر مع الحرص على التقرب إلى الله تعالى ونيل مرضاته.

ولا شك أن اختيار الأعمال المثمرة والمفيدة ذات النفع المتعدي هي أعمال صالحة، وأن المؤمن كلما كانت همته عالية وقوية كان محبباً إلى الله تعالى، على العكس من المؤمن الكسول، لأن الإسلام دين العمل والحركة والنشاط والقوة، وهذا يصدقه قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ".[1]

ثالثاً: إن لقبول العمل شرطان يجب على المسلم مراعاتهما، وحددها العلماء، وهما:

الأول: أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى.

ثانياً: أن يكون العمل موافقاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك الحال بالنسبة للأعمال المهنية والحرفية هناك شروط ينبغي على العامل مراعاتها والالتزام بها، فالعامل في مصنعه، والتاجر في متجره، والمزارع في مزرعته، وكل صاحب مهنة في مهنته يحتاج إلى مراعاة أصول صنعته وضوابطها وإلا أضاع مهنته، وفقد مصداقيته أمام المتعاملين معه والمستفيدين من خدمته.

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بالقوة وترك الضعف، رقم ٢٦٦٤، ج ١١، ص ١٢٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه "،[1] وقال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ ".[2]

ومن هذا يفهم أن على المسلم أن يحرص الحرص التام على إتقان عمله وتحسينه إرضاء لله تعالى أولاً، ثم إرضاءً لنفسه والآخرين سواء كانوا مُلَّاك عمل أو المستفيدين من خدماته وأعماله لهم، وسيحصل لقاء ذلك على حب الله تعالى وهو غاية المقصود، ومن أحبه الله سبحانه نال خيري الدنيا والآخرة.

وهنا أيضاً تأتي مسؤولية المؤسسات التربوية على مختلف أنواعها الرسمية وغير الرسمية سواء المدارس والجامعات أو المساجد والإعلام بالتأكيد على غرس هذا الخُلق الإسلامي، وهو جودة العمل وإتقانه في نفوس الناشئة ليكون سمة وعلامة بارزة للإنسان المسلم في أي وقت عاش وفي أي مكان نزل.

المبحث التاسع: وسائل اكتساب العلم والمعرفة

قال الله تعالى: [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ].[3]

---

(١) الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم ٨٩٧، ج ١، ص ٢٧٥، الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ١١١٣، ج ٣، ص ١٨٧.

(٢) صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم ١٩٥٥، ج ٣، ص ١٥٤٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال القرطبي – رحمه الله –: إن من نعم الله عليكم أن أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء، وفيه ثلاثة أقاويل:

أولها: لا تعلمون شيئاً مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم.

الثاني: لا تعلمون شيئاً مـــما قضى عليكم من السعادة والشقاء.

الثالث: لا تعلمون شيئاً مـــن منافعكـــم.

وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته، لعلكم تشكرون نعمه وتبصرون آثار صنعته لأن إبصارها يؤدي إلى الشكر.[1]

وقال السعدي – رحمه الله –: إن في ذلك دليلاً على أن الله هو المتفرد بهذه النعم ولا أحد يقدر على ذلك إلا هو، ثم خص الله تعالى هذه الأعضاء بالذكر لشرفها وفضلها لأنها مفتاح لكل علم، فلا يصل للعبد علـــم إلا عن طريقها، وعلى العبد شكر الله باستعمال هذه الجوارح في طاعته، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه، وقابل النعمة بأقبح المعاملة.[2]

التوجيهات التربوية

قبل ذكر ما تحتويه الآية الكريمة من توجيهات تربوية، فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه الآية يشبهها آيات أخرى في موضوعها، ومنها:

قوله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ].[3]

وقولـــه سبحانه: [ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصـــــَارَ وَالْأَفْئِدَةَ

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ١٥١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٣٩٧-٣٩٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٧٨.

www.alukah.net

قَلِيلاً مـــا تَشْكُرُونَ].[1] وقولـه تعالى: [قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ].[2]

وهذا تأكيد على مكانة وعظـم هـذه النعم: (السمع، البصر، الفؤاد)، ووجوب شكر الله عليها بإعمالها في مرضاته واجتناب نواهيه.

ومن التوجيهات التربوية التي تتضمنها الآية الكريمة:

أولاً: إن الله تعالى لـمَّا خَلَقَ الإنسان على هذه الأرض [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً][3] ثم حمّـله الأمانة [إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً][4] ثم جعل الدنيا دار ابتلاء له [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور].[5]

فقد جعل له من رحمته سبحانه وتعالى بعد ذلك ما يعينه على تحمل الأمانة ومواجهة الابتلاء، فزوده بوسائل معينة له على معرفة الخير واتباعه ومعـرفة الشر واجتنابه، ومـن جملة تلك الوسائل: (الرسـل عليهم الصلاة والسلام، الكتب السماوية، الفطرة السليمة، العقل السليم).

وفي هـذه الآية حدد الله تعـالى وسائل أخـرى هـي: [السمـع، البصـر، الفؤاد (القلب)]، ليعي بها أوامر الله تعالى ونواهيه، فيتبع أوامره ويجتنب نواهيه.

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٩.

(٢) سورة الملك، الآية: ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٥) سورة الملك، الآية:٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانياً: خلق الله تعالى للإنسان خمس حواس أساسية هي: (اللمس، الذوق، الشم، السمع، البصر)، وأفضلها في كسب العلم السمع والبصر لأن تأثر الإنسان بما يراه ويسمعه أعظم من تأثره بما يلمسه ويذوقه ويشمه.[1]

ولذلك يجب على القائمين على شؤون التعليم والمربين التركيز الشديد على هاتين الحاستين تحديداً في إيصال المعلومات للطلاب، واستخدام الوسائل التعليمية السمعية والبصرية، وما أكثرها هذه الأيام نتيجة التقدم المذهل في وسائل التقنية، والتي تأتي في مقدمتها الحاسبات الآلية، والشبكة العنكبوتية (الانترنت).

ثالثاً: إن الموجه الأساس والمشرف العام عل هذه الحواس، بل وكافة أعضاء الجسم هو القلب، وبصلاح القلب يصلح الجسد كله، وبفساده يفسد كله، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ".[2]

ولذلك يجب على المؤسسات التعليمية والتربوية بأنواعها المختلفة العناية التامة بسلامة القلب من كل ما يؤثر فيه سلباً من الأحقاد والضغائن والمعاصي والذنوب والشهوات والشبهات، والعمل على تنقيته بشكل مستمر بغرس عقيدة التوحيد الخالص والإخلاص لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والإكثار من طاعة الله تعالى بأداء أوامره بقدر استطاعته واجتناب نواهيه، وأن يُعتنى بغرس المحبة لإخوانه المسلمين ولأمته قولاً وتطبيقاً.

---

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢، ص ٤٠٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم ٥٢، ج ١، ص ٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعاً: إن الهدف الأساس والمقصد الأسنى من هذه الوسائل بل وكل أعضاء الإنسان أن تسخر لعبادة الله تعالى وحـــده، ويقول ابن كثير – رحمه الله –: إن العبد إذا أخلص الطاعة لله صارت أفعاله كلها لله عز وجل، فلا يسمع إلاّ لله ولا يبصر إلاّ لله ولا يبطش ولا يمشي إلاّ في طاعة الله عز وجل، وجاء في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِـــلُهُ تَرَدُّدِي عَـــنْ نَفْسِ الْمُـــؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَـــوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ".[1] – [2]

خامساً: إن هذه الوسائل وغيرها مسؤول عنها الإنسان مسؤولية تامة، فإذا لم يسخرها لعبادة الله تعالى وسُخرت في غير مرضاة الله تعالى فقد وقع تحت طائلة المسؤولية والمحاسبة من الخالق جلَّ جلاله، قـــال تعالى: [وَلا تَقْـــفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْـــمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً].[3]

وقال السعدي – رحمه الله – أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل يجب التثبت من كل ما تقوله وتفعله فلا تظن أن ذلك يذهب دون مساءلة من الله تعالى يوم الحساب.[4]

ولذلك يجب على المسلم العاقل أن يراقب الله تعالى في كل ما يسمع ويقول ويفعل، فكل صغيرة وكبيرة مكتوبة في صحائفه وتُعرض عليه يوم القيامة فمن عمل خيراً لقي خيراً،

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب التواضع، حديث رقم ٦١٣٧، ج ٥، ص ٢٣٨٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٥٨٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٠٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن عمل شراً عاقبه الله تعالى بما يستحقه، وإن شاء غفر الله له بعفوه وكرمه ومنّه، وما أحسن الالتزام بالتوجيه النبوي الشريف القائل: " مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ ". [1]

وقال ابن القيم – رحمه الله – معلقاً على هذا الحديث:

" فهذا يعم الترك لما لا يعني من الكلام والنظر والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة ".[2]

سادساً: من أعظم الشهود على أقوال الإنسان وأفعاله وحركاته وسكناته يوم القيامة أعضاؤه فإن عمل خيراً شهدت له، وإن عمل شراً شهدت عليه، قال الله تعالى: [الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]،[3] ويقول سبحانه: [حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]،[4] ويقول عز وجل: [يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]،[5] ويقول تعالى: [وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ].[6]

وقد ورد في الحديث الشريف عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال:

---

(١) ابن حنبل، المسند، حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما، حديث رقم ١٧٣٧، ج٣، ص ٢٥٩.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢، ص ٢١.

(٣) سورة يس، الآية:٦٥.

(٤) سورة فصلت، الآية:٢٠.

(٥) سورة النور، الآية: ٢٤.

(٦) سورة فصلت، من الآية ٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو تبسم، فقال: ألا تسألوني من أي شيء ضحكت، فقال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمني ؟! قال بلى: قال: فإني لا أقبل علـــّي شهادة شاهد إلا من نفسي، فيقول أو ليس كفى بي وبالملائكة الكرام الكاتبين ! قال فيردد هذا الكلام مرات، فيختم على فيه، وتتكلم أركـــانه بما كان يعمل، فيقـــول بعداً لكـــم وسحقاً؛ عنكـــم كنت أجـــادل.[1]

وهذا الإخبار من الله تعالى، ومن رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يجعل الإنسان المسلم على حذر دائماً في كل تصرفاته القولية والفعلية والفكرية حتى لا يتحرك أي عضو من أعضائه إلاّ بما يرضي الله تعالى لأنه سيأتي عليه يوماً إما عاجلاً أو آجلاً وسيحاسب على هذه التصرفات، وإن نسيها أو أنكرها ستتولى أعضاؤه التي هي من نفسه الشهادة عليه.

سابعاً: طالما خُلق الإنسان وهو لا يعلم شيئاً، وزوده الله تعالى بهذه الوسائل المهمة، فهي إذاً لم تعط عبثاً، وفي ذلك دليل واضح للحث على طلب العلم والسعي إليه بكل الوسائل المشروعة والممكنة، فأول ما يجب أن يبدأ به من العلم ما يعينه على معرفة ربه سبحانه وتعالى وتوحيده والإخلاص له، ومن ثم معرفة كيفية عبادته وفق شرعه دون إفراط أو تفريط، ثم ينذر نفسه للتخصص في أحد التخصصات الشرعية أو العلمية التي تميل إليها نفسه ويحقق من خلالها النفع لنفسه ولمجتمعه ولأمته.

ثامناً: هناك بعض الآيات القرآنية المتأمل فيها يجدها أنها تُنكر وتعيب على الذين لا يُعْمِلُون آذانهم وأبصارهم وعقولهم فيما يحقق لهم الهداية إلى سبيل الرشاد، بل إن الله تعالى شبه هؤلاء

---

(١) الحاكـــم، المستدرك على الصحيحين، حديث رقم ٨٧٧٨، ج ٤، ص ٦٤٤، وصححه الذهبي في تعليقه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القوم بالأنعام، بل هم أضل منهم، وأي استنكار وذم وتوبيخ من أن ينحدر إلى فصيلة الحيوانات إن لم يكن أقـــل منهـــا مرتبة.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ][1] وقوله سبحانه: [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ][2]، وقوله تعالى: [خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ][3].

تاسعاً: يولد الإنسان وقد زوده الله تعالى بهذه الوسائل العظيمة، وهي تبدأ ضعيفة وتتدرج حتى تصل مع مرور العمر إلى مرحلة النضج، وعبر هذه المسيرة تعترض الإنسان الكثير من الشهوات والشبهات التي قد تؤثر على الاستفادة المطلوبة من هذه الوسائل.

ولذلك وجب على المربين في جميع المستويات ابتداء من الأسرة والمدرسة والمجتمع بمؤسساته التربوية المختلفة أن يحافظوا على هذه الوسائل من جانبين، وهما:

الجانب الأول: الابتعاد عن المؤثرات السلبية، مثل: الإهمال المبكر لهذه الوسائل وعدم توجيهها التوجيه الأمثل: كسماع الأغاني الساقطة، والموسيقى المثيرة للغرائز، والنظر المحرم وما شابه ذلك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية:١٧٩.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجانب الثاني: الحرص على تنميتها بكل ما هو نافع ومفيد لها، ومن أهم وسائل العناية بها: إلحاق الناشئة بحلق تحفيظ القرآن الكريم، والعناية بتهيئة محاضن تربوية لهم، مع الاهتمام بالرفقة الصالحة المعينة على الخير.

عاشراً: لعلم الله تعالى بحال الإنسان وقلة شكره، قال جل جلاله: [وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور]،[1] فلذلك وجه الله تعالى في كثير من الآيات إلى وجوب شكره لأنه سبحانه هو المستحق بالشكر، فهو الخالق وهو المدبر وهو الرازق وهو المنعم، وما من خير في الإنسان إلا منه سبحانه وتعالى [وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ].[2]

فشكر الله تعالى من أوجب الواجبات على العبد، ومهما بلغ فلن يوفي الله تعالى حق شكره، ومن فضل الله تعالى أنه يجازي الشاكر له بالزيادة والإنعام [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم]،[3] فهذا فضل على فضل.

الحادي عشر: العلم الذي يحصل عليه الإنسان عن طريق وسائل العلم الأساسية التي مر ذكرها، هو من عند الله تعالى، ولولا الله جل وعز ما علم شيئاً، فالوسائل من عنده وحصول العلم وتهيئة أسبابه أيضاً من عنده سبحانه قال تعالى: [وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ]،[4] وقال تعالى: [عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ].[5]

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية:٣١-٣٢.

(٥) سورة العلق، الآية: ٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك فإن هذه الوسائل لوحدها لا تكفي إذ لابد أولاً من توفيق الله تعالى للمتعلم [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ][1] وهذا التوفيق لا يتأتى إلا عن طريق تقوى الله تعالى وطاعته [وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ][2].

ولذلك يجب على المسلم إنْ عَلِم شيئاً أن يرد ذلك العلم إلى الله تعالى لأنه منه تعالى ابتداء وانتهاء، وقد درج علماء الأمة الخلف والسلف في كتبهم ومؤلفاتهم ودروسهم ومواعظهم ومحاضراتهم وفتواهم أن يردوا كل ما كتبوا وما قالوا إلى الله تعالى، ولذا تجدهم يقولون بعد أي علم توصلوا إليه عبارة: (والله تعالى أعلم).

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث العاشر: دفاع الله تعالى عن المؤمنين

قال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: إن الله تعالى يخبر أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه، وأنابوا إليه شر الأشرار، وكيد الفجار، ويحفظهم، ويكلؤهم، وينصرهم، كما قال تعالى: [أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ]،[2] وقوله: [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً]،[3] وقوله: [إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ] أي: لا يحب من عباده من اتصف بهذا، وهي الخيانة في العهود والمواثيق.[4]

وقال السعدي – رحمه الله –: إن هذه الآية فيها إخبار من الله ووعد وبشارة للذين آمنوا بأن الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم بسبب إيمانهم كل شر من شرور الكفار وشرور وسوسة الشيطان وشرور أنفسهم وسيئات أعمالهم ويحمل عنهم عند نزول المكاره ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف، وكل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقلٍ ومستكثرٍ.

[إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ] أي: خائن في أمانته التي حمله الله إياها فيبخس حقوق الله تعالى ويخونها ويخون الخلق، ثم هو كفور لنعم الله يوالي الله عليه الإحسان ويتوالى منه الكفر والعصيان، فهذا لا يحبه الله، بل يبغضه ويمقته وسيجازيه على كفره وخيانته.[5]

التوجيهات التربوية

تتضمن الآية الكريمة جملة من التوجيهات التربوية التي تكسب الإنسان المسلم الاستقرار النفسي في خضم هذه الحياة التي أصبحت تموج بالكثير من الفتن والمنغصات والعياذ بالله تعالى.

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية:٣.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم, ج٣، ص ٢٢٥.

(٥) السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٨٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقبل التطرق لهذه التوجيهات تحسن الإشارة إلى الإجابة على السؤال الذي يطرح نفسه هنا، وهو: ما هو الإيمان ؟ والإيمان في اللغة: يعنى التصديق،[1] وفي الاصطلاح: هو: قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل ونية واتباع السنة، أو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، ويقول ابن تيمية – رحمه الله – كل هذا صحيح.[2]

ومن التوجيهات التربوية في الآية الكريمة، ما يلي:

أولاً: رتب الله تعالى على الإيمان الخير الوافر، والنعيم العظيم، ومن لم يتصف به فاته خير كثير، وحُرم نعم عظيمة، وقد ذكر ابن القيم – رحمه الله – مجموعة من خِصال الخير التي أعدها الله تعالى للمؤمنين، فمن هذه الخِصال، ما يلي:

١- حصول الأجر العظيم لهم، قال تعالى: [وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً].[3]

٢- استغفـــار حملة العرش لهم، قال تعالى: [الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا].[4]

٣- موالاة الله تعالى لهم ولا يذل مـــن والاه الله، قال الله تعالى: [اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ].[5]

٤- أمر الله تعالى ملائكته بتثبيتهم، قال تعالى: [إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا].[6]

٥- لهم الدرجات عند ربهـــم والمغفرة والرزق الكريم، قال تعالى: [أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ].[7]

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، (مادة: أمن)، ج١٣، ص ٢١.

(٢) انظر: ابن تيمية، الفتاوى، ج٧، ص ١٧٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤.

www.alukah.net

٦- حصول العزة لهم، قال تعالى: [وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ].[١]

٧- حصول الرفعة في الدنيا والآخرة لهم، قال تعالى: [يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ].[٢]

٨- إعطاؤهم كفلين من رحمته وإعطاؤهم نوراً يمشون به ومغفرة ذنوبهم، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ].[٣]

٩- الود الذي يجعله سبحانه لهم وهو أنه يحبهم، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ].[٤]

١٠- أمانهم من الخوف يوم يشتد الخوف، قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ].[٥]

١١- القرآن الكريم هُدى لهم وشفاء، قال تعالى: [قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ].[٦]

والمقصود أن الإيمان سبب رئيس لجلب كل خير، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة سببه الإيمان، فكيف يهون على العبد أن يرتكب شيئاً يخرجه من دائرة الإيمان ويحول بينه وبينه ؟، ولكن لا يخرج من دائرة عموم المسلمين، فإن استمر على الذنوب وأصرَّ عليها خيف عليه أن يرين على قلبه فيخرجه عن الإسلام بالكلية.[٧]

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٩.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٧) ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ج ١، ص ٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعلى المسلم الفطن أن يحرص كل الحرص أن يكون من المؤمنين الصادقين حتى يفوز بكل هذه الفضائل السابقة وغيرها، بل من حاز واحدة منها حصل له خير كثير، وأن يعمل على مجاهدة نفسه وقمع شهواته ونزواته ليحصل له شرف الإيمان وما أعظمه من شرف، كما يجب أن يعمل جاهداً في كل ما ينمي إيمانه ويقويه بالإكثار من الأعمال الصالحة وخصوصاً قراءة القرآن الكريم وتدبر آياته والتفكر في خلق الله تعالى، ودراسة أسمائه وصفاته والعمل بمضامينها.

ثانياً: لابد أن يقترن الإيمان بالعمل الصالح، وقد جاءت آيات قرآنية عديدة مؤكدة عليه منها، قوله تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ][1] وقوله سبحانه: [وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ][2].

إن اقتران العمل الصالح بالإيمان ينتج عنه فوائد عظيمة أشار إليها القرآن الكريم في العديد من الآيات الكريمات تصل إلى أكثر من خمسين آية.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: [بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ][3] وقوله تعالى: [وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ][4] وقوله سبحانه: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ][5] وقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ][6].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة غافر، من الآية: ٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩.

(٦) سورة البينة، الآية: ٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبهذا تتضح أهمية العمل الصالح المقرون بالإيمان في حياة المسلم، وما يجنيه صاحبه من ثمار يانعة وخير عظيم في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: إن عَرَضَ الدنيا بكل ما فيها زائل مهما كثرت إغراءاته وتنوعت مشاربه، فهو لا يساوي عند الله تعالى شيئاً ولا مقدار جناح بعوضة، أما الإيمان فما أدراك ما الإيمان!! فبه ترتفع مقادير الرجال لأنه على قدر كبير من الأهمية، ومن أكرمه الله سبحانه بالإيمان فهو في خير عظيم لأن الله تعالى لا يعطي الإيمان إلا لمن يحبه، قال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قُسِمَتْ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلا مَنْ يُحِبُّ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا أَعْطَاهُ الإِيمَانَ ".[1]

إن حُب الله تعالى يأتي بكثرة الأعمال الصالحة التي هي أعظم ثمار الإيمان، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ".[2]

رابعاً: إن أمتنا اليوم بحاجة إلى الإيمان الصادق المقرون بالعمل الصالح بعد أن رأينا رأي العين ما حل ببعض مجتمعاتنا من نكبات وأزمات وتشتت وفرقة، كل ذلك أدى بها إلى الضعف والتأخر عن ركب الحضارة واللحاق بالدول المتقدمة، وإبراز صورة الإسلام المشرقة.

إنه إذا أردنا دفاع الله تعالى عنا وتغيير حالنا إلى حال أفضل مما نحن فيه، فلا بد من الإيمان الصادق؛ الإيمان الذي يجعل المسلم شعلة من النشاط، ولا هم له إلاّ العمل الجاد المثمر ابتغاء مرضاة الله والدار الآخرة، ولا يسأل ولا يستعين إلا بالله سبحانه، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٨٩٩٠، ج٩، ص ٢٠٣، الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٢٧١٤، ج ٦، ص ٢١٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب التواضع، حديث رقم ٦١٣٧، ج ٥، ص ٢٣٨٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن هذه المضامين الإيمانية وردت ضمن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –، فقال: " كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: " يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ ".[1]

خامساً: الخيانة سلوك مذموم وممقوت ومنهي عنه شرعاً، وتمجه العقول والفطر الصحيحة لما يترتب عليها من مفاسد وشرور عظيمة على الفرد والمجتمع، فيكفي أنها صفة المنافق وما أقبحها من صفة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ".[2]

وهذه الخصلة من عظم خطرها وشدة مفاسدها أنها تؤدي إلى عدم محبة الله تعالى، ويكفى ذلك خطورة؛ لأن المتصف بها قد ينال بسببها عقوبة من الله تعالى تجعله شقياً في الدنيا والآخرة والعياذ بالله، فما على الإنسان المسلم العاقل الموفق إلا الابتعاد عنها، والحرص على الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة من محبة وصدق وأمانة ووئام وصفاء قلب.

سادساً: إن كفر النعمة وجحودها صفة مذمومة لأنها تقابل الإحسان بالإساءة، والخير بالشر، ويعظم خطرها إذا كانت في حق الله تعالى الذي أكرم وخلق ورزق وأنعم، فنعمه على الإنسان لا تعد ولا تحصى، كما قال تعالى: [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا][3]، ولذلك فإن الله تعالى لا يحب من اتصف بكفران النعمة، ويتعجب الله تعالى من كفر الإنسان له مع إحسانه إليه، فقال تعالى: [قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ].[4] – [5]

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، باب قول النبي يا حنظلة ساعة وساعة، حديث رقم ٢٥١٦، ج ٤، ص ٦٦٧)، وصححه الألباني في تعليقه.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم ٥٩، ج ١، ص ٧٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٤) سورة عبس، الآية: ١٧.

(٥) انظر: الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج ٣٠، ص ٥٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الواجب على المسلم حينئذٍ بذل أقصى الجهد في شكر الله تعالى أولاً على نعمه وآلائه العديدة التي يسرح ويمرح وينعم بها ليلاً ونهاراً، ولن يوفي حق شكر الله تعالى مهما بلغ، ثم تقديم الشكر للناس على أفضالهم وخدماتهم التي أسدوها له، وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ "، [1] وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ ". [2] – [3]

ولا شك أن من وفقه الله تعالى لشكره قولاً وفعلاً نال وعد الله تعالى بالزيادة إذ قال سبحانه: [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ]،[4] وقوله تعالى:[وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً]. [5]

سابعاً: من أهم ما ينبغي على المربين التركيز عليه اليوم بيان وتوضيح العوامل التي تقوي الإيمان وتنميه في نفس الإنسان المسلم، وأبرز هذه العوامل الحرص على أداء الطاعات واجتناب المعاصي وغرس ذلك في الناشئة منذ نعومة أظفارهم أي: ابتداء من الأسرة المحضن الأول للإنسان، ثم مروراً بالمدرسة والمجتمع بكافة مؤسساته التربوية.

ومن العوامل أيضاً المقوية للإيمان: التفكر والنظر الدائم في ملكوت السماوات والأرض، ومجالسة ومصاحبة الأخيار، والتفقه في الدين ومعرفة أحوال السلف الصالح وما كانوا فيه من صلاح وورع وزهد وجهاد في الله تعالى.

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم ١٩٥٤، ج ٤، ص ٣٣٩، وصححه الألباني في تعليقه.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، باب عطية من سأل بالله، حديث رقم ١٦٧٢، ج ٢، ص ١٢٨.

(٣) الألباني، صحيح أبي داود، باب عَطِيَّةِ مَنْ سأل بالله، حديث رقم ١٤٦٩، ج ٥، ص ٣٦٣.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥) سورة النساء، من الآية ١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا تمكن الإيمان من قلب المؤمن كان الإيمان له بمثابة الحصن والسياج الواقي ضد المعاصي والنوازل والفتن وقد جاء في الحديث " الإيمان هَيُوبٌ "، [1] أي: إن صاحبه يهاب المعاصي.

كل ذلك وغيره من العوامل المقوية للإيمان نحن في أمسّ الحاجة إليه اليوم لعل الله تعالى بفضله ومنه أن يقوي بها إيماننا ويدافع عنا لتصلح أحوالنا ويعاد للأمة الإسلامية هيبتها وعزها ومجدها.

(١) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، باب ما قالوا في صفة الإيمان، حديث رقم ٣٠٩٦٠، ج ١١، ص ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الحادي عشر: النكاح طريق الغنى

قال الله تعالى: [وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: تتضمن الآية الكريمة أمراً بالتزويج، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بظاهر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ "[2]، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ ".[3]

والأيامى جمع أيم، ويقال للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، وقوله تعالى: [إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] فيه ترغيب من الله في التزويج ووعدهم عليه الغنى، وجاء عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال: " أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح؛ ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: [إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ]، وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: " التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: [إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ]، وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُكَاتَبُ

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج "، حديث رقم ٤٧٧٨، ج٥، ص ١٩٥٠.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء، ج٣، ص ٢٧١، وصححه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ " [1]، وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره و لم يقدر حتى على خاتم من حديد، ومع هذا زوجه بتلك المرأة وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما معه من القرآن.[2] – [3]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: إن الزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الميول الجنسية، وهو الغاية النظيفة لهذه الميول، فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج، لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها، والعقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس، والإسلام نظام متكامل، فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها، وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء، فلا يلجأ إلى الفاحشة حينئذ إلا الذي يعدل عن الطريق النظيف الميسور عامداً غير مضطر.

لذلك يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى النكاح الحلال، والجمهور على أن الأمر هنا للندب، ودليلهم أنه قد وجد أيامى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُزَوجوا، ولو كان الأمر للوجوب لزوجهم، ونحن نرى أن الأمر للوجوب، لا بمعنى يُجْبر الإمام الأيامى على الزواج، ولكن بمعنى أنه يتعين إعانة الراغبين منهم في الزواج، وتمكينهم من الإحصان، وبوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية، وتطهير المجتمع الإسلامي من الفاحشة، وهو واجب، ووسيلة الواجب واجبة.

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، حديث رقم ١٦٥٥، ج ٤، ص ١٨٤، وحسنه الألباني في تعليقه.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل وكثير حديث رقم ١٤٢٥، ج ٢، ص ١٠٤٠.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٢٨٧-٢٨٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا وجد في المجتمع الإسلامي أيامى فقراء وفقيرات تعجز مواردهم الخاصة عن الزواج، فعلى الجماعة أن تزوجهم، وكذلك العبيد والإماء، غير أن هؤلاء يلتزم أولياؤهم بأمرهم ما داموا قادرين، ولا يجوز أن يقوم الفقر عائقاً عن التزويج – متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه رجالاً ونساءً – فالرزق بيد الله، وقد تكفل الله بإغنائهم إنْ هُم اختاروا طريق العفة النظيف.[1]

التوجيهات التربوية

يأمر الله تعالى عباده المسلمين بالزواج لما فيه من غايات سامية، منها:

- حصول الاطمئنان والاستقرار النفسي.
- حصول المودة والرحمة بين الزوجين.
- إشباع الغريزة الجنسية بالطريق الشرعي.
- التعارف والتقارب بين الناس والشعوب المختلفة.
- حفظ واستمرار النوع البشري.
- سلامة المجتمع من الأمراض الحسية والمعنوية التي يسببها العزوف عن الزواج.

وإضافة لكل هذه الغايات السامية، فقد وعد الله تعالى المُــقْدِمِينَ عليه بالغنى من فضله جل جلاله في حالة كونهم فقراء، ويقول القرطبي – رحمه الله –: إن هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقول كيف أتزوج وليس لي مال ؟ فإن رزقه على الله تعالى، [2] وقال الخليفة الراشد أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –: " أطيعــوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم مــا وعدكم من الغنى ".[3]

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٥١٤-٢٥١٥.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٢٣٩-٢٤٢.

(٣) ابن أبي حــاتم، تفسير ابن أبي حاتم، حديث رقم ١٤٤٤٩، ج ٨، ص ٢٥٨٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن فَضْلَ اللهِ واسع ورزقه لا حدود له، كما أن لله سبحانه وتعالى نفحات ومكرمات – قد لا تخطر على بال– يتجلى بها على عباده الواثقين به والمتوكلين عليه فيهيئ لهم أسباب الرزق بعدما ظنوا أن الأبواب والمجالات قد أوصدت في وجوههم، فهذا وعد الله تعالى ولن يخلف الله جل جلاله وعده، قال تعالى: [وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ].[1]

وقد تضمنت الآية الكريمة توجيهات تربوية عظيمة لموضوع اجتماعي في غاية الأهمية، ومن تلك التوجيهات، ما يلي:

أولاً: خَلق الله تعالى الإنسان وهو العليم بما يصلح له، وما لا يصلح، [أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ]،[2] ويعلم سبحانه وتعالى أن من أقوى الغرائز الطبيعية فيه الغريزة الجنسية، فإذا لم تشبع بالطريق السوي الذي يريده الله تعالى لجأت إلى الطرق المنحرفة، لذلك وجه الله تعالى عباده بالزواج، فقال تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]،[3] وقال تعالى: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا]،[4] وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً].[5]

كما أن هناك أحاديث كثيرة تحث على الزواج وترغب فيه، منها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٦.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَـاءٌ "، [1] وقـول الرسول صلى الله عليه وسلم: " تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ "،[2] وحديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي.[3]

وهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تؤكد مدى حرص الإسلام على إشباع الغريزة الجنسية بالزواج الشرعي؛ فهو الطريق الوحيد للعفة والستر والصلاح، وكل دعوة لإشباع الغريزة الجنسية بخلاف ذلك فهي دعوة شيطانية منحرفة تجر وراءها المصائب والنكبات والفساد الخلقي والاجتماعي لمخالفتها فطرة الله التي فطر الناس عليها.

ثانياً: إن المجتمع الإسلامي مجتمع يتميز عن غيره من المجتمعات بميزات عدة، فأعظم ميزة له رباط الأخوة الإيمانية، قـال تعـالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ]، [4] ثم هناك توجيهات شرعية عدة تؤكد على وحدته وتماسكه، وبها أيضاً يتميز المجتمع الإسلامي عن غيره، منها: قول الله

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – ": من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج "، حديث رقم ٤٧٧٨، ج٥، ص ١٩٥٠.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، باب النهـى عـن تزويج مـن لم يلد مـن النساء، ج٣، ص ٢٧١، وصححه الألباني في تعليقه.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح، حديـث رقم ٥٠٦٣، ج١٧، ص ٨٤.

(٤) سورة الحجر، الآية: ١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعالى: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ][1]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ "[2]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[3]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ "[4]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ".[5]

وهذه التوجيهات وأمثالها كثيرة في الإسلام كلها تؤكد على تماسك المجتمع ووحدته، وإن الامتثال لهذه التوجيهات يترتب عليه السعادة والخير الكثير في الدنيا والآخرة، ولاشك أن مساعدة المسلم لأخيه المسلم والوقوف معه في أمور الزواج بأي شكل من أشكال المساعدة سواء المادية أو العينية أو المعنوية داخلة ضمن هذه التوجيهات الحاضة على التعاون والتماسك والأخوة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم ٦٠٢٦ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ج٢٠، ص ١٤٦.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم حديث رقم ٢٥٨٥، ج٤، ص ١٩٩٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم ١٣، ج١، ص ١٢.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث ٢٦٩٩، ج٤، ص ٢٠٧٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثاً: إن إنشاء جمعيات أهلية خيرية لمساعدة الراغبين على الزواج هذه الأيام أصبح أمراً في غاية الأهمية ومطلباً ملحاً في ظل التكاليف الباهظة التي يتطلبها الزواج والتي تنوء بكاهل الكثير من الشباب، وتوجد في المملكة العربية السعودية ولله الحمد جهتان تتولى تقديم الإعانات لراغبي الزواج: جهة حكومية والأخرى أهلية، ولكل منهما فروع في بعض المناطق، فالجهة الحكومية هي: (بنك التسليف والادخار السعودي) ويعطي قرضاً للزواج يقدر بخمسة وأربعين ألف ريال وفق شروط معينة، وفعلاً قدمت هذه القروض فوائد جليلة تَحَصَّن بها الكثير من الشباب واستقرت حياتهم بعد أن كانوا في متاهات العزوبية تائهين – فجزى الله ولاة الأمر خير الجزاء – على هذه الجهود المباركة.

أما الجهة الأهلية فتمثلها عدة جمعيات خيرية في مختلف مناطق المملكة، ويشرف عليها نخبة من المشايخ وطلبة العلم الكرام. وحبذا نشر أفكار هذه الجمعيات في المجتمعات الإسلامية مع السعي إلى تقديم الدعم المادي والمعنوي لها عن طريق الموسرين وأهل الخير في العالم الإسلامي ليعم نفعها كافة شباب الإسلام في البلاد الإسلامية.

رابعاً: ينبغي على المجتمع المسلم التعاون والتناصح للقضاء على العقبات التي تقف حائلاً أمام الراغبين على الزواج وما أكثرها هذه الأيام، ومنها على سبيل المثال: الارتفاع الفاحش في المهور لدى بعض القبائل والعشائر وأحياناً في المدن، والإسراف الواضح في وليمة الزواج مع عدم المحافظة على بقايا الطعام في الكثير من الحفلات، وتعدد المناسبات والحفلات قبل مراسم الزواج الرئيسة، فهناك: (يوم تسليم المهر، والشَبْكَة أو المِلْكَة، والغُمْرة ثم الدُّخْلَة...الخ)، ثم تأتي الهدايا التي يقدمها العريس لوالد العروس وأمها وجدتها وإخوانها، وبعد ذلك تأثيث سكن الزوجيـــة، وإحضار مغنيات أو منشدات للنساء، أو مغنين أو منشدين للرجال يدفع لبعضهم مبالغ مرتفعة ناهيك عن المحظورات الشرعية التي قد تصاحب كل ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنني أدعو الجميع – دون استثناء – وخصوصاً العقلاء ومن بيده العصمة بأن يتقوا الله تعالى في حفلات الزواج وأن يعملوا على تقليل وتخفيف تكاليفه بالصورة المعقولة والمقبولة من غير إفراط أو تفريط لما في ذلك من البركة والخير للزوجين، ويؤكده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ صَدَاقاً "، [1] وفي رواية " أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً "، [2] كما أن في ذلك قدوة للغير وينال المُقْتَدَى به الأجر لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا ". [3]

خامساً: إن زيادة النمو السكاني قابله توسع في العمران، وأدى ذلك إلى تباعد بعضهم عن بعض، أضف إلى ذلك انشغال الكثير منهم في أمور الدنيا وعدم وجود وقت للتعارف أو التزاور، كل ذلك تسبب في عدم معرفة الأسر بعضها بعضاً، مما جعل الكثير من الشباب والشابات يحجب عن الموافقة للارتباط بالآخر لعدم المعرفة الكاملة لكل منهما.

وهذا الواقع العصري الجديد يفرض وبإلحاح شديد **إنشاء جمعيات ذات فروع متعددة تُعنى بتعريف الراغبين على الزواج من الجنسين** شريطة أن تتسم أعمال الجمعية بالسرية التامة، وهذا يتطلب أن يكون المشرفون عليها من الأخيار المعروفين بالصلاح والتقوى والسمعة

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح، حديث رقم ٢٧٣٢، ج٢، ص ١٩٤، وصححه الذهبي في تعليقه.

(٢) صححه السيوطي، الجامع الصغير، ج ١، ص ٩١.

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، حديث رقم ٢٠٣، ج١، ص ٧٤، وصححه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحسنة، وبالإمكان أن تحصل الجمعية على مقابل مادي رمزي للقيام بهذه المهمة في حالة عدم وجود مخصصات مالية خيرية تغطي أعمالها.

سادساً: مع ارتفاع نسبة الطلاق وخصوصاً لحديثي الزواج التي وصلـــت إلى نسب عالية في بعض المجتمعات الإسلامية، ويترتب عليها مخاطر اجتماعية كبيرة منها: التفكك الأسري، وتشتت الأطفال إن وجدوا، وارتفاع نسبة المطلقات، وازدياد نسبة العنوسة لعزوف الشباب عن الزواج كرد فعل لارتفاع نسب الطلاق.

وهذا الواقع يفرض على المهتمين بالشؤون الاجتماعية أن يسعوا إلى **تكوين جمعيات للحماية الأسرية** يشرف عليها متخصصون في الشؤون الدينية والاجتماعية والتربوية والنفسية وموثوق بهم تتولى الإصلاح والتوفيق بين الأزواج، لأن كثيراً من حالات الطلاق تكون بسبب أمور تافهة تُركت وأُهملت حتى كَبرت في نفوس الزوجَيْنِ وعَظم أمرها وحدث ما حدث، كما يتطلب أن تقوم هذه الجمعيات بتقديم دورات توجيهية للراغبين في الزواج للشباب وللشابات، وبهذين المقترحين يُفضل عدم إتمام عملية الزواج أو إثبات عملية الطلاق إلاّ بعد إحضار ما يثبت زيارة هذه الجمعية والاستفادة من خدماتها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني عشر: التوازن والاعتدال

قال الله تعالى: [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله – أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه.

وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله تعالى إليك، ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به الأرض، وتسيء إلى خلق الله [إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ].[2]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: إن في الآية الكريمة يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يُعلق قلب واجد المال بالآخرة ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً،كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها، والتوازن والاعتدال في حياة الإنسان، يُمَكِّنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص ٤٠٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ] فهذا المال هبة من الله وإحسان، فليقابل بالإحسان فيه إحسان التقبل وإحسان التصرف، والإحسان به إلى الخلق، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكر للمنعم.

[وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ] الفساد بالبغي والظلم، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة، والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء، والفساد بإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عن وجهه على كل حال [إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] كما أنه لا يحب الفرحـــين.[1]

التوجيهات التربوية

إن التشريع الإسلامي تشريع يقوم على التوازن والاعتدال فلا يطغى جانب على آخر، بل الجانب الذي فيه مصلحة وخير ونفع للإنسان هو الذي ينبغي أن يُصرف له الجهد والاهتمام.

وفي هذه الآية الكريمة يوجه خالق الإنسان العليم بمصالحه الدنيوية والأخروية، أنه يجب عليه أن يوظف ما وهبه الله تعالى من مال وصحة وعافية وفطنة وذكاء في طاعة الله ومرضاته للفوز بالجنة والنعيم الأبدي، وفي الوقت نفسه عليه عدم إهمال ما يحتاجه من المباحات المعينة على العيش في الدنيا والتي لا تستقيم الحياة إلاّ بها وفق منهج الإسلام وتشريعاته السامية.

وتتضمن الآية الكريمة عدة توجيهات تربوية يمكن عرضها في النقاط التالية:

أولاً: إن الإسلام دين التوسط والاعتدال، قال تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً].[2]

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص ٢٧١١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذلك ينبغي على المربين ابتداءً من الأسرة ثم المدرسة والدعاة والمصلحين والإعلام بوسائله المختلفة غرس هذه السمة والميزة الإسلامية الفريدة في نفوس الأولاد والتلاميذ والطلاب وكافة أفراد المجتمع لكي يبتعدوا عما نراه ونسمعه اليوم من تشدد وتنطع في الدين أدى بالمسلمين إلى تفسيق وتضليل وتجهيل وتبديع بل تكفير بعضهم بعضاً وهو منتهى الإفراط، والتحذير الشديد من التساهل والانفلات من توجيهات الإسلام بحجة التجديد والتطوير ومواكبة المستجدات وهو منتهى التفريط، وكلا الاتجاهين ذميم وبعيد عن منهج الإسلام الذي يقوم على التوسط والاعتدال فلا إفراط ولا تفريط، وهو ما دعت إليه الآية الكريمة.

ثانياً: الإحسان خُلق إسلامي سامٍ ومطلب في غاية الأهمية، وجهت إليه آيات وأحاديث كثيرة وجاء في حديث جبريل – عليه السلام – المشهور الذي رواه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ،[1] وقال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ ".[2]

فينبغي أن يشمل الإحسان كل شيء في حياة الإنسان المسلم، الإحسان في عبادة الله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والإحسان إلى نفسه التي بين جنبيه بعدم تكليفها ما لا تطيقه حتى ولو كان ذلك في العبادات، والإحسان إلى النوع الإنساني كله ببذل الوسع في إرشادهم وتبصيرهم بأمور دينهم، والحرص على إفادتهم والاستفادة منهم بما يعود بالنفع على

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم ٨، ج ١، ص ٣٧.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم ١٩٥٥، ج ٣، ص ١٥٤٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلام والمسلمين، والإحسان إلى الحيوان بالعناية والرفق به، بل يصل الإحسان حتى مع الجماد ووضعه في موضعه الذي يستحقه وعدم العبث به، قال تعالى: [تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً][1] قال السعدي – رحمه الله –: من حيوان ناطق وغير ناطق ومن أشجار ونبات وجامد وحي وميت بلسان الحال ولسان المقال.[2]

ثالثاً: التحذير من الفساد في الأرض، لأن الإسلام بتوجيهاته السامية يسعى إلى إعمار الأرض، قال تعالى: [وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ].[3]

وقال ابن كثير – رحمه الله –: " أي جعلكم عمَّاراً تعمرونها وتستغلونها "،[4] وعلى هذا فالإفساد في الأرض أمره عظيم، وخطره شديد ومخالف لمنهج الله تعالى.

لذلك يجب على المربين عموماً السعي الحثيث للتحذير من الفساد في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد قلَّ ذلك أم كثر، وعَظُم أم صغر لأن في الإفساد قد يكون إلحاق ضرر بالفرد أو إلحاق ضرر بالآخرين، والإسلام قائم على حفظ حقوق الأفراد وحفظ حقوق الآخرين وعدم التعدي عليها البتة.

رابعاً: إن النفس البشرية تحتاج باستمرار إلى تربية وتوجيه وإصلاح، ولا يناسبها إلاّ توجيهات خالقها العليم بأحوالها وأسرارها ومكامن قوتها وضعفها، فإذا أُهملت تلك التوجيهات تخبط

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٨٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٦١.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٤٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسان في متاهات الأفكار المنحرفة الفاسدة، وارتكس في دياجير الظُلَمِ فيضر نفسه قبل أن يضر الآخرين.

لذلك كان لزاماً على المربين والدعاة والمصلحين المخلصين في شتى المجالات التركيز على نشر توجيهات الإسلام السامية وتطبيقها والتحذير من الأفكار والرؤى المنحرفة الوافدة من بيئات غير إسلامية، حتى يعيش الجميع في ظل هذه التوجيهات فيسود الأمن ويعم الخير والسلام بعون الله تعالى وتوفيقه.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث عشر: الجهاد في الله تعالى

قال الله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ].[1]

قال القرطبي – رحمه الله –: إن الجهاد في الآية جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته، وقيل: هي في الذين يعملون بما يعلمون، قال عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه –: إنما قَصُر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمناه ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا، قال الله تعالى: [وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ]،[2] وقيل: إن الجهاد في الآية ليس قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعِظَمَهُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله.

[وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] أي: إن الله سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية.[3]

وقال ابن كثير – رحمه الله –: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا] يعني الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، [لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا] أي: لنبصرنهم سُبلنا وطُرقنا في الدنيا والآخرة، [وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] قال عيسى بن مريم – عليه السلام –: إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك.[4]

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٨٢.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٣٦٤-٣٦٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال السعدي – رحمه الله –: إن من أحسن فيما أمره الله به أعانه الله، ويسر له أسباب الهداية، وأن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمور إلهية خارجة عن مدارك اجتهاده، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نَوْعَيّ الجهاد الذي لا يقوم به إلاّ خواص الناس، وهو الجهاد بالقول واللسان للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق ولـــو كانـــوا مسلمـــين.[1]

التوجيهات التربوية

إن الجهاد في سبيل الله أمر تُرَغِّبُ فيه الشريعة الإسلامية أيما ترغيب لأن الحياة بطبيعتها حياة يتطلب العيش فيها جد وعمل ودعوة وكبد وصبر ومصابرة، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالجهاد، والجهاد في سبيل الله ولإعلاء كلمته أعلى مرتبته بل هو ذروة سنام الإسلام.

وهناك أنواع متعددة من الجهاد يلي قتال الكفار، فهناك الجهاد في بر الوالدين والإحســـان إليهما، فقد ورد عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ أَحَيٌّ وَالِدَاكَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ ".[2]

وهناك جهاد العبادات فقـــد ورد عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: " شُدُّوا الرِّحَالَ فِي الْحَجِّ فَإِنَّهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ "،[3] وهناك جهاد النفس وقمع شهواتها، قـــال النبي صلى الله عليه وسلم: " أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٥٨٥-٥٨٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب الجهاد بإذن الأبوين، حديث رقم: ٣٠٠٤، ج١١، ص ٣٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب الحج على الرحل، حديث رقم: ١٥١٦، ج٦، ص ٥١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ ".[1]

وعلق ابن القيم – رحمه الله – على ذلك بقوله: "جهاد النفس مقدم على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له فإنه من لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أُمرت به وتترك ما نُهيت عنه ويحاربها في الله لم يتمكن من جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده و لم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه عـــلى الخروج".[2]

وهناك جهاد تَحَمُّل المشاق في تربية الأسرة وطلب الرزق المشروع لهـــا، فقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: " بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا شاب من الثنية فلما رأيناه بأبصارنا قلنا: لو أن هذا الشاب جعل شبابه ونشاطه وقوته في سبيل الله قال: فسمع مقالتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وما سبيل الله إلا من قُتل ؟ من سعى على والديه ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسه ليعفها ففي سبيل الله، ومن سعى على التكاثر فهـــو في سبيل الشيطان." [3]

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ٧٩٦، ج ١٨، ص ٣٠٩، الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٥٤٩، ج ٢، ص ٤٨.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص ٦.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، حديث رقم ١٨٢٨٠،ج٩، ص ٢٥. الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٣٢٤٨، ج ١٣، ص ٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإجمالاً فكل أمر يحتاج إلى بذل مجهود وصبر ومجاهدة النفس لكسب رضا الله تعالى إما بفعل مأمور أو ترك محظور فهو جهاد في الله تعالى، وما كان لله سبحانه خالصاً فقد وعد سبحانه وتعالى بتهيئة أسباب النصر والمعونة والتوفيق والسداد لإنجاز العمل المُجَاهَدِ من أجله، وكل ذلك واقع ومجرب ومشاهد على مرأى ومسمع من العقلاء والمبصرين.

وتتضمن الآية الكريمة موضوع هذا المبحث توجيهات وإرشادات تربوية جليلة القدر رفيعة الشأن عظيمة النفع، ومن تلك التوجيهات:

أولاً: الثقة بوعد الله عز وجل بالهداية والنصر والتوفيق والسداد لكل من جاهد فيه بأي نوع من أنواع الجهاد، وهذه تُكْسب الإنسان المسلم الشعور بالاطمئنان والاستقرار النفسي والمزيد من الأعمال الصالحة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أخذ التدابير والخطط والاحتياطات اللازمة لكل جهاد شَرَعَ فيه الإنسان، فلا تُتْرك الأمور للمصادفة والعشوائية والفوضى، فلا بد من بذل أقصى الجهد لتحقيق الجهاد المطلوب، فمن جاهد الكفّار والمنافقين سواءً بالقتال النفسي أو المعنوي فينبغي الاستعداد لذلك الجهاد، قال تعالى: [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ][1].

ومن جاهد في طلب العلم الشرعي فينبغي عليه أخذه على يدي العلماء الموثوق بعلمهم وإخلاصهم، والرجوع في ذلك أيضاً إلى الكتب الموثقة والمعروف عن مؤلفيها الصلاح والتقوى، وكذلك من جاهد على أسرته وتربية أولاده فعليه دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح – رضوان الله عليهم – وكيف تعاملوا مع أسرهم وربوْا أولادهم وذويهم، والاستفادة والاستزادة من كتب التربية الحديثة حتى يكون تعامله وتربيته مع أهله

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأولاده وفق منهج إسلامي صحيح يجمع بين الأصالة والمعاصرة يُؤتي أكله بالنافع المفيد بإذن الله تعالى، ويعود عليهم وعلى مجتمعهم، وأمتهم بالخير والفلاح.

ثالثاً : الالتزام بالتوجيه النبوي الكريم في توسيع دائرة الجهاد في سبيل الله تعالى، فلم يُقْصر الجهاد فقط على القتال في سبيل الله تعالى، وحتى القتال تتسع دائرته ليكون جهاداً بالمال أو بالقلم أو بالقول، أو أية وسيلة مساعدة للقتال في سبيل الله يحصل له مثل أجر المقاتل، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا ".[1]

والجهاد في سبيل الله عام لكل ما يُقرب من الله تعالى حتى المشاورة في طلب الحق، فقد أورد علاء الدين الكاساني – رحمه الله – أنه رُوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول لأبي بكر وعمر – رضي الله تعالى عنهما –: " قولا فإني فيما لم يوح إليّ مثلكما، ولأن المشاورة في طلب الحق من باب المجاهدة في الله عز وجل فيكون سبباً للوصول إلى سبيل الرشاد، قال الله عز وجل: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا] ".[2]

رابعاً: أن يكون الجهاد في سبيل الله خالصاً لله تعالى وحده أياً كان ذلك الجهاد، واحتساب الأجر والثواب منه سبحانه، قال تعالى في محكم التنزيل: [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً]، [3] وجاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، حديث رقم ١٨٩٥، ج ٣، ص ١٥٠٦.

(٢) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧، ص١٢، السرخسي، المبسوط، ج ١٦، ص ١٣٠.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ١١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا أَجْرَ لَهُ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَا أَجْرَ لَهُ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ لَهُ: لَا أَجْرَ لَهُ.[1]

خامساً: وجه الله سبحانه وتعالى عباده بأنه معهم ولن يتخلى عنهم إذا هم أطاعوه واتبعوا أمره، بل كانوا من المحسنين فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، ومن ضمن ذلك الجهاد بأنواعه المختلفة.

والإحسان خلق إسلامي سامٍ رَغَّب إليه الإسلام، ويشمل الإحسان في كل شيء، وجاء في حديث جبريل – عليه السلام – المشهور الذي رواه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – " قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "، [2] والعبادة كما هو معروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

ولذلك ينبغي على المسلم التخلق بخلق الإحسان في أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة، وغرس هذا الخلق في أولاده وأسرته وكل من حوله، فالأخلاق الفاضلة التي تصل إلى درجة الإحسان لها تأثير إيجابي كبير في الآخرين وفي صلاح الفرد والمجتمع والأمة، فضلاً عن الأجر العظيم الذي أعده الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، باب في من يغزو ويلتمس الدنيا، حديث رقم ٢٥١٨، ج٢، ص ٣٢١، وصححه الألباني في تعليقه.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم ١، ج ١، ص ٣٦.

المبحث الرابع عشر

القول السديد فيه صلاح الدنيا والدين

قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً].[1]

قال القرطبي – رحمه الله – أي قولوا: قصداً وحقاً، وقيل: صواباً، وقيل: قولوا قولاً سديداً في شأن زينب وزيد، ولا تنسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يحل، وقيل: لا إله إلا الله، وقيل: هو الذي يوافق ظاهره باطنه، وقيل: هو ما أريد به وجه الله دون غيره، وقيل: هو الإصلاح بين المتشاجرين، والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك، ثم وعد جل وعز بأنه يجازي على القول السديد بإصلاح الأعمال وغفران الذنوب وحسبك بذلك درجة ورفعة مترلة، ومن يطع الله ورسوله فيما أمر به ونهى عنه فقد فاز فوزاً عظيماً .[2]

وقال ابن كثير – رحمه الله –: إن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بتقواه وأن يعبدوه عبادة كأنهم يرونه، وأن يقولوا قولاً سديداً، أي: مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم، أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص ٢٥٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها، ثم قال تعالى: [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً] وذلك أنه يُجار من نار الجحيم إلى الجنة النعيم المقيم.

كما أورد ابن كثير – رحمه الله – عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الظُّهْرِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ مَكَانَكُمْ فَاسْتَقْبَلَ الرِّجَالَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُنِي أَنْ آمُرَكُمْ أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ وَأَنْ تَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ثُمَّ تَخَطَّى الرِّجَالَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَأْمُرُنِي أَنْ آمُرَكُنَّ أَنْ تَتَّقِينَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْ تَقُلْنَ قَوْلًا سَدِيدًا ".[1] – [2]

وقال سيد قطب – رحمه الله – في ظلال هذه الآية، إن القرآن الكريم يوجه المؤمنين إلى تسديد القول وإحكامه والتدقيق فيه، ومعرفة هدفه واتجاهه قبل أن يتابعوا المنافقين والمرجفين، وقبل أن يسمعوا في رسولهم ومرشدهم ووليهم إلى قـــول طائش ضال، أو قول مغرض خبيث، ووجههم إلى القول الصالح الذي يقود إلى العمل الصالح، فإن الله تعالى يرعى المسددين ويصلح أعمالهم جزاء التصويب والتسديد، والله يغفر لأصحاب الكلمة الطيبة والعمل الصالح ويكفر عنهم السيئات.

وقول الله تعالى: [وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً]، إن الطاعة بذاتها فوز عظيم، فهي استقامة على نهج الله تعالى، والاستقامة على هذا النهج القويم مريحة مطمئنة، والاهتداء إلى الطريق المستقيم سعادة بذاتها، ولو لم يكن للمرء إلاّ ذلك كفاه، وليس الذي يسير في الطريق الواضح النهج وكل ما حوله يتجاوب معه ويتعاون كالذي يسير في الطريق

---

(١) ابن حنبل، المسند، حديث أبي موسى الأشعري، ١٨٨٧١، ج ٤٠، ص ١٨٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥٢٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المظلم وكل ما حوله يعاديه ويصادمه ويؤذيه، فطاعة الله تعالى تحمل جزاءها في ذاتها قبل يوم الحساب وقبل الفوز بالنعيم، أما النعيم الأخروي فهو فضل زائد على جزاء الطاعة.[1]

التوجيهات التربوية

يخاطب الله عز وجل هنا المؤمنين بصفة خاصة، وهو نداء محبة وخير يقرب من الله تعالى، وهذا النداء وأمثالُه في القرآن الكريم، يقول عنه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – : إذا سمعت الله تعالى يقول: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه. [2]

هذا النداء المفعم بالإيمان الخالص يوجه فيه الله تعالى المؤمنين بتقواه، فهي خير زاد وبوابة الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، ولعظم قدرها ورفعة منزلتها ودرجتها فقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مائتين وخمسين (٢٥٠) مرة، وهذا يدل دلالة واضحة على أهميتها ومكانتها من جهة والحرص والعناية على الالتزام بها من جهة أخرى.

ولا شك أن المتقين هم السعداء والمفلحون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: [أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ].[3]

وتتضمن الآيتان الكريمتان توجيهات تربوية عظيمة، ومن تلك التوجيهات، ما يلي:

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٨٨٤.

(٢) الجزائري، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ص ٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٦٢ – ٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاً: تكريم الله تعالى ومحبته للمؤمنين من عباده، وهذا يتطلب من المُكرّمين بهذا النداء الإلهي العظيم حسن الاستجابة وحسن الإذعان، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ].[1]

وعلى المربين والمعلمين والدعاة والمصلحين العناية بالتلطف مع الناشئة والشباب والمتعلمين وألا يسمع منهم إلا أفضل القول وأحسنه فهو مدعاة للقبول وحسن الاستجابة، مع التأكيد على أهمية طاعة الله تعالى والاستجابة لأوامره واجتناب نواهيه في السر والعلن.

ثانياً: الاهتمام بتحري القول السديد، ويشمل: (القول القصد والحق، القول الصدق، القول العدل، القول المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، القول المحدد اتجاهه وهدفه، القول الذي يراد به وجه الله تعالى، القول الموافق ظاهره باطنه، الإصلاح بين المتشاجرين، لا إله إلاّ الله).

إن تحري القول السديد بما يشتمل عليه من معانٍ متنوعة سبق ذكرها سببٌ لنشر المحبة والود بين الناس، لما يحمله من صفاء ونقاء في التعامل خالٍ من المكر والخداع والغيبة والنميمة والألفاظ النابية التي تعكر صفو الحياة وتنشر العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، لأنها ذات تأثير سلبي على نهوض الأمة وتقدمها.

وعلى المؤسسات التربوية بأنواعها المختلفة تفعيل القول السديد وجعله واقعاً معاشاً وسلوكاً ممارساً يلتزم به الجميع، والتنديد والإنكار الشديدان لكل من يخالفه.

ثالثاً: التوجيه بتقوى الله تعالى يشمل الجنسين الرجال والنساء على حدٍ سواء، وثبت ذلك التوجيه في الحديث الشريف الذي أورده ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره وسبقت الإشارة إليه آنفاً، وينبغي أن يلتزم النساء بتقوى الله تعالى وبالقول السديد، فمكانتهن في المجتمع عظيمة

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

فهي الأم والأخت والزوجة والبنت، وهن عماد تربية الأولاد، وبصلاحهن تصلح الأسرة ويصلح المجتمع بخاصة والأمة بعامة.

رابعاً: إثابة المحسن على العمل المثمر النافع، وإيقاع الجزاء المناسب على المسيء، وهذا هو مبدأ الثواب والعقاب وهو مبدأ تربوي مهم جداً يجدر بالمربين والمصلحين مراعاته والاهتمام به، مع مراعاة الحكمة في تطبيقه بحسب الحاجة والقدر المناسب من غير إفراط أو تفريط.

خامساً: ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم التوجيه بقراءة هاتين الآيتين ضمن آيات خطبة النكاح لعظيم قدرها ولما تحتويه من معانٍ سامية مفيدة في إصلاح الأسرة والمجتمع.[1]

سادساً: وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ][2]، وبذلك تحصل الطمأنينة والاستقرار النفسي، والسعادة الدنيوية مقابل التجاوب والالتزام بذلك، قال تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ][3]، لأن الإعراض عن طاعة الله تعالى يُسبب ضيق العيش والهم والغم، بل إن جل الأمراض النفسية والعصبية مردها البعد والإعراض عن طاعة الله تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ

---

(١) انظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجة، باب خطبة النكاح، حديث رقم ١٨٩٢، ج ٣، ص ٨٧، وصححه الألباني في تذييله لسنن ابن ماجه بتعليق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الْقِيَامَةِ أَعْمَى][1] وقال تعالى فيمن آمن وعمل الصالحات: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ][2].

وعلى المربين التأكيد على أهمية العناية التامة بطاعة الله تعالى وضرورة التوجيه بالالتزام بها واجتناب نواهيه، فمن أراد الخير والفلاح والحياة الطيبة السعيدة والاستقرار النفسي فهذا هو طريقها وهذا هو سبيلها، ومن حاد عنها فلا يلومنَّ إلا نفسه، فماذا بعد الخير والهداية إلا الضلال والشقاء.

المبحث الخامس عشر: عمر الإنسان محدود

قال الله تعالى: [وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ][3].

قال ابن كثير – رحمه الله –: إن الله تعالى يُخبر عن ابن آدم أنه كلما طال عمره رُد إلى الضعف بعد القوة، والعجز بعد النشاط،كما قال تبارك وتعالى: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ][4] وقال عز وجل: [وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ][5] وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ

---

(١) سورة طـه، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة يـس، الآية: ٦٨.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٠.

www.alukah.net

وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا].[1]

وقال – رحمه الله –: والمراد من هذا والعلم عند الله الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار، ولهذا قال عز وجل: [أَفَلَا يَعْقِلُونَ] أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم، ثم صيرورتهم إلى سن الشيبة، ثم إلى الشيخوخة ليعلموا أنهم خلقوا لدار أخرى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة.[2]

وقال الزمخشري – رحمه الله –: أي: نُقَلِبُه في الخلق فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل، وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده، وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه، فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبيّ في ضعف جسده وقلة عقله وخلّوه من العلم.[3]

التوجيهات التربوية

تتضمن الآية الكريمة العديد من التوجيهات التربوية التي يحتاجها الإنسان المسلم، ومن تلك التوجيهات:

أولاً: محدودية عمر الإنسان مهما امتدت به السنون، فلا بد له من يوم ينتهي أجله عنده، وتتوقف تلك المسيرة، فتلك سنة الله تعالى في خلقه، ودوام الحال من المحال، فكل شيء إلى زوال، قال تعالى: [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ],[4] وقال تعالى: [كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ].[5]

وقال سيد قطب – رحمه الله – في ظلال هذه الآية: فكل شيء زائل وكل شيء ذاهب: المال والجاه والسلطان والقوة والحياة والمتاع وهذه الأرض ومن عليها والسموات وما فيها

---

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٧٩.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ٥، ص ٤٤٦.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٢٦- ٢٧.

(٥) سورة القصص، الآية: ٨٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن فيها وهذا الكون كله ما نعلمـــه وما نجهله كله هالك فلا يبقى إلا وجه الله الباقي المتفرد بالبقاء.[1]

هذه الثوابت إذا استقرت في يقين المسلم ووجدانه ومشاعره تغيرت كثير من نوازعه وشهواته اليومية التي أصبحت شغله الشاغل في الدنيا، وكأنه باقٍ فيها ولا نهاية لحياته. ويجب على التربويين والمصلحين والدعاة العناية التامة بغرس مثل هذ الثوابت في نفوس المسلمين بعامة والشباب والأجيال الناشئة بخاصة لينتبهوا ويكونوا على حذر من الانغماس في الدنيا ومتاعها الزائل.

ثانياً: طالما عمر الإنسان وحياته محدودة مهما بلغ، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم حدد أعمار أمته بشكل عام، فقال صلى الله عليه وسلم: " أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ "، [2] وبعد هذا العمر بالتأكيد حياة سرمدية، أفليس إذاً من العقل أن تكون هذه الحياة المحدودة والقصيرة جداً فرصة للتزود من الأعمال الصالحة ؟! وفي المقابل يكون من قلة التوفيق وضعف العقل تضييع هذه الفرصة وعدم استثمارها واستغلال كل ثانية فيما يقرب العبد إلى الله تعالى.

ثالثاً: تمضي بالإنسان السنون وهو لا يشعر بها في كثير من الأحيان، وأن التسويف بالاستقامة والعمل الصالح لا يجدي البتة، لأنه لا يعلم متى يحين أجله، فالأجـــل يأتي بغتة، وقد يكون في العمر متسع للتوبة النصوح وقد لا يكون، أما إذا أكرمه الله تعالى وبقي حتى سن الأربعين وهي أشد المراحل العمرية أهمية لبلوغ الإنسان بها النضج العقلي الذي به يستطيع التمييز بين مـــا يصلح له وما لا يصلح، فتكون مصيبة عظمى من بلغ هذه السن و لم يرعو، ولذلك بين الله تعالى ما ينبغي على من بلغ سن الأربعين عمله فقال تعالى: [حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ

---

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ١٧٢٦.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، باب في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم، حديث رقم ٣٥٥٠، ج٥، ص ٥٥٣، وصححه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]. [1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: [وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً] أي: تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه، ويقال: إنه لا يتغير غالباً عما يكون عليه ابن الأربعين، وقد قيل لأحد الصالحين متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال: إذا بلغ الأربعين سنة فعليه أخذ الحذر.[2]

رابعاً: من أخطر المراحل العمرية حرجاً بلوغ سن الستين سنة إذا لم تستقم حال الإنسان ومازال في غفلة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً "، [3] وفي المسند عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى عَبْدٍ أَحْيَاهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ أَوْ سَبْعِينَ سَنَةً لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ "، [4] والمعنى أن من عمَّره الله ستين سنة لم يبق له عذر في عدم الإنابة والتوبة لأن الستين قريب من معترك المنايا، وهو سن الإنابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله تعالى، ففيه إعذار بعد إعذار.[5]

خامساً: إن الإنسان خلال مسيرة حياته يلحظ على نفسه بعض التغيرات التي تنبئ بتقدمه في السن، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده لكي يتنبه ويحاسب نفسه قبل دنو أجله، فمن علامات الكبر ضعف العظم وطلوع الشيب، قال تعالى على لسان زكريا – عليه السلام –: [قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً]، [6] وقد اُعتبر الشيب إنذاراً بقدوم العمر

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٥٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه، حديث رقم ٦٠٥٦، ج٥، ص ٢٣٦٠.

(٤) ابن حنبل، المسند، مسند أبي هريرة – رضي الله عنه –، حديث رقم ٧٦٩٩، ج٢، ص ٢٧٥، الألباني، السلسلة الصحيحة، حديث رقم ١٠٨٩، ج٣، ص ١٦٣.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٣٥٣.

(٦) سورة مريم، الآية: ٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودنو الأجل، فقال تعالى: [أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ].[1]

أورد السيوطي – رحمه الله –: أنّ ابن عباس – رضي الله عنهما – فسر قوله تعالى: [وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ] بالشيب،[2] وقال ابن حجر – رحمه الله –: وقد اختلف أهل التفسير في [وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ] فالأكثر على أن المراد به الشيب، لأنه يأتي في سن الكهولة فما بعدها، وهو علامة لمفارقة سن الصبي الذي هو مظنة اللهو.[3]

سادساً: أهمية إعمال العقل وأدواته في كل أحوالنا، فالآيات الكريمات التي توجه إلى ذلك كثيرة جداً فتارة: [أَفَلا يَعْقِلُونَ]، [أَفَلا تَعْقِلُونَ]، [أُولِي الْأَلْبَابِ]، [لِأُولِي النُّهَى]، [تَتَفَكَّرُونَ]، وكل ذلك يدل على أهمية العقل في النظر والتأمل والتفكر والتدبر في كل أحوالنا وما يحيط بنا.

وعن التفكر وهو من أدوات العقل ودوره في تحقيق العبادة، ننتقل مع ما أورده القرطبي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَاب]،[4] فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قوم يتفكرون في الله فقال: تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره، [5] وروي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك رباً وخالقاً اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له،[6] وقال

---

(١) سورة فاطر، من الآية ٣٧.

(٢) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج ٧، ص٣٢.

(٣) ابن حجر، فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ج١١، ص ٢٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٥) ضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير، حديث رقم ٦٢١٩، ج ١٤، ص ٩١، والحديث الضعيف يؤخذ به في فضائل الأعمال.

(٦) لم أعثر عليه، ولكن ورد أيضاً في بعض كتب التفسير، انظر: السيوطي، الدر المنثور في القول بالمأثور، ج ٤، ٢٨٤.

www.alukah.net

الحسن البصري – رحمه الله –: تفكر ساعة خير من عبادة سنة "، [1] وقيل لأم الدرداء ما كان أكثر شأن أبي الدرداء ؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكر.[2] – [3]

سابعاً: إن مسيرة ابن آدم من طفولته مروراً بمراحل عمره المتعددة حتى الوصول إلى أرذل العمر، ثم الانتقال إلى الدار الآخرة آية من آيات الله تعالى تدل على كمال قدرته وعظمته جل جلاله، فمستحيل أن يقوم بعمل ذلك إلا الله الخالق العليم القدير، قال تعالى: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ]. [4]

إن استشعار عظمة الله تعالى وقدرته في النفوس من خلال النظر في حال الإنسان يزيد الإيمان ويورث الخوف والرهبة من الله تعالى، فيبادر الإنسان إلى اكتساب طاعته والبعد عن معاصيه بكل ما يستطيعه، قال تعالى: [سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ].[5]

ثامناً: ما أحلى أن يقضي الإنسان عمره كله في طاعة الله تعالى وكسب مرضاته، فأي زيادة في العمر تعني له زيادة الخير والسعادة ليس في الدنيا فحسب بل في الآخرة أيضاً، أما إذا قضى حياته وامتد به العمر وهو مفرط والعياذ بالله فقد خسر الدنيا والآخرة، وقد ورد في الحديث الشريف عند الترمذي وغيره: " أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: " مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ " قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ، قَالَ: " مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ ".[6]

فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من الموفقين في حياتنا للأعمال الصالحة، وأن نكون ممن طال عمره وحسن عمله.

---

(١) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم ٣٦٣٧١، ج ١٣، ص ٥٠٧.

(٢) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، حديث رقم ٣٥٧٢٩، ج ١٣، ص ٥٠٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص ٣١٤.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٦) الترمذي، سنن الترمذي، باب طول العمر للمؤمن، حديث رقم ٢٣٣٠، ج٤، ص٥٦٦، وصححه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس عشر: الصداقة الحقة

قال الله تعالى: [الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: إن كل صداقة وصحبة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلاّ ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه، وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه: [وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ].[2] – [3]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: إن عداء الأخلاء لينبع من معين ودادهم، فقد كانوا في الحياة الدنيا يجتمعون على الشر، ويملي بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر، واليوم ينقلبون إلى خصوم يتلاحون من حيث كانوا أخلاء يتناجون إلاّ المتقين فهؤلاء مودتهم باقية فقد كان اجتماعهم على الهدى، وتناصحهم على الخير، وعاقبتهم إلى النجاة.[4]

التوجيهات التربوية

أما الصداقة والصحبة التي قامت على المصالح الدنيوية والأغراض المادية وليس لله سبحانه وتعالى فيها نصيب، فستكون يوم القيامة وبالاً وشؤماً وخسراناً على أهلها، جزاء انحرافهم وغفلتهم وهجرهم التناصح وعدم حب الخير بعضهم لبعض.

وتتضمن الآية الكريمة توجيهات تربوية في غاية الأهمية لموضوع مهم جداً، موضوع نعايشه جميعاً، ولا يستغني عنه أحد البتة، ألا وهو الصداقة أو الصحبة، ومن هذه التوجيهات:

أولاً: في عصر طغى على بعض الناس التفكير المادي البحت، والوصول إلى أهدافهم وغاياتهم بأي وسيلة كانت شرعية أم غير شرعية، ولا يضعون نصب أعينهم إلاّ مصالحهم الذاتية دون النظر إلى مصالح غيرهم، ودون مراعاة لقيم أو مبادئ.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤،ص١٣٤.

(٤) قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص ٣٢٠١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي هذا الواقع المؤسف يكون من الأهمية بمكان ضرورة انتقاء الأصحاب والأصدقاء وفق معيار التقوى التي أشارت إليه الآية الكريمة، وأكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة منها، قوله: " لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ "، [1] وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ "، [2] وعن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً ". [3]

ولذلك ينبغي على المؤسسات التربوية وخصوصاً الأسرة والمدرسة والمسجد توجيه الناشئة إلى مصاحبة الأخيار من أقرانهم ليكونوا عوناً لهم على طاعة الله تعالى وتقواه، وتجنب مصاحبة الأشرار الذين زلّوا وضلّوا، وليسوا لهم هم إلاّ إيقاع غيرهم فيما هم فيه من غواية وضلال.

ثانياً: قد يحسن في بعض الأوقات والظروف عند اختيار الأصحاب اختبارهم وامتحانهم لمعرفة مدى ما هم عليه من تقوى أو فجور لكي يتحدد على ضوئه مصاحبتهم أو عدمها، وقد أكد شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ذلك بقوله: " فإذا أراد الإنسان أن يصاحب المؤمن أو أراد المؤمن أن يصاحب أحداً وقد ذُكِر عنه الفجور وقيل إنه تاب منه، أو كان ذلك مقولاً عنه سواءً كان ذلك القول صدقاً أو كذباً فإنه يمتحنه بما يظهر به بره أو فجوره وصدقه أو كذبه ". [4]

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم ٤٨٣٢، ج٤،ص٢٥٩، وحسنه الألباني في تعليقه.

(٢) أبو داود، المرجع السابق، حديث رقم ٤٨٣٣، وصححه الألباني في تعليقه.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم ٢٦٢٨، ج٤، ص ٢٠٢٦.

(٤) ابن تيمية، الفتاوى، ج١٥، ص ٣٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثاً: ومما غَفَل عنه بعضنا ونحن في أمس الحاجة إليه وهو من لوازم الصداقة والصحبة التحاب في الله تعالى والبغض فيه، وهو قُربة يتقرب بها العبد إلى ربه جل جلاله وينال بها الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة، والنصوص الشرعية المؤكدة لذلك كثيرة جداً، منهـــا:

عـــن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قـــال: قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَـــاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَـــا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ "،[1] وأيضاً: " عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن ربه تبارك وتعالى: " حقت محبتي على المتحابين فيّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيّ، وحقت محبتي على المتزاورين فيّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ، وهم على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون بمكانهم ".[2]

وهذه الأحاديث وغيرها تؤكد فضل وعظم المصاحبة والمصادقة القائمة على الحب في الله تعالى والبغض فيه سبحانه وتعالى، وكم حَري بنا معاشر المسلمين تطبيق هذا الهدي النبوي في حياتنا والبعد عمّا نشاهده ونلمسه اليوم من جفاء وتناحر وتباغض وأحقاد وقطيعة بين بعضنا بعضاً دونما مبـــرر شرعي وإنما لهوى نفس وأغراض دنيوية تافهة لا تستدعي كل هذا التصرفات المشينة التي تؤثر على تماسك المجتمع ووحدة الأمة.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب الصدقة باليمين، حديث رقم ١٤٢٣، ج ٢، ص ١١١.

(٢) ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب الصحبـــة والمجـــالسة، حديث رقم ٥٧٧، ج٢، ص ٣٣٨، الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم ٣٠١٩، ج ٣، ص ٩٢.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السابع عشر: الأرزاق بيد الرزاق جلَّ جَلالُه

قال الله تعالى: [وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله – أي: لو أعطى الله عباده فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان بعضهم على بعض أشراً وبطراً، وقيل: خير العيش مالا يلهيك ولا يطغيك، وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ كَيْفَ قُلْتَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ أَوَ خَيْرٌ هُوَ إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا [2]، أو يُلِمُّ [3] أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلَأَتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ ثَلَطَتْ [4] أَوْ بَالَتْ ثُمَّ اجْتَرَّتْ [5] فَعَادَتْ فَأَكَلَتْ فَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ".[6]

وقوله عز وجل: [وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ] أي: ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فيُغني من يستحق

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) تخمة وهي: امتلاء البطن وانتفاخه من الإفراط في الأكل.

(٣) يقارب الهلاك.

(٤) ثلط البعير يثلط إذا ألقي رجيعاً سهلا رقيقاً.

(٥) ما يخرجه البعير من بطنه فيمضغه ثم يبلعه.

(٦) مسلم، صحيح مسلم، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا حديث رقم ١٠٥٢، ج٧، ص ١٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغنى، ويُفقر من يستحق الفقر،كما جاء في بعض الآثار: " إن من عبادي مَنْ لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه".[1]

وقال سيد قطب – رحمه الله –: إن الآية الكريمة تصور قلة ما في الحياة الدنيا من أرزاق – مهما كثرت – بالقياس إلى ما في الآخرة من فيض غزير، فالله يعلم أن عباده لا يطيقون الغنى إلا بقدر، وأنه لو بسط لهم في الرزق – من نوع ما يبسط في الآخرة – لبغوا وطغوا، إنهم صغار لا يملكون التوازن، ضعاف لا يحتملون إلاّ إلى حد، والله بعباده خبير بصير، ومن ثم جعل رزقهم في هذه الأرض مقدراً محدوداً، بقدر ما يطيقون، واستبقى فيضه المبسوط لمن ينجحون في بلاء الأرض، ويجتازون امتحانها، ويصلون إلى الدار الباقية بسلام، ليتلقوا فيض الله المدخر لهم بلا حدود ولا قيود.[2]

التوجيهات التربوية

إن رزق الله عز وجل واسع ومبسوط ليس له حدود ولو أعطى كل واحد مسألته لم ينقص من واسع رزقه شيئاً، وبيده سبحانه وحده مفاتيح الرزق، يقول تعالى: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ]، [3] وقد اقتضت حكمته البالغة وعدله المطلق في هذه الدنيا أن يوزع الأرزاق على عباده بحسب حاجتهم وقدرة تحملهم له، ولذلك جعل الله تعالى هذا غني وهذا فقير، وآخر بين هذا وذاك، لعلمه سبحانه وتعالى أن من أغناه لا يصلح له الفقر، لأنه لو أفقره

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١١٦.

(٢) قطب، في ظلال القرآن, ج٥، ص ٣١٥٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لفسد عليه دينه وخسر الدنيا والآخرة، وكذلك من أفقره لا يصلح له الغنى، لأنه لو أغناه لفسد عليه دينه وخسر الدنيا والآخرة.

والآية الكريمة تتضمن توجيهات تربوية في غاية الأهمية لموضوع يشغل بال كثير من الناس ويقلق مضجعهم، بل ويلهيهم عن فرائض الله تعالى، ومن تلك التوجيهات:

أولاً: إن تفاوت الأرزاق من ضرورات العيش في الدنيا، فلا بد أن يكون فيها أغنياء وفقراء وفيها بين هذا وذاك، فتخيّل أيها المسلم لو جعل الله عباده كلهم أغنياء، أو جعلهم كلهم فقراء، فلا يكون هناك تناسق وتوازن على الأرض ولا اهتزت مصالح العباد وتخلخلت موازين عمارة الأرض التي وُجه الإنسان بعمارتها والاستخلاف فيها، ولذلك رفع الله تعالى العباد بعضهم فوق بعض ليتخذ بعضهم بعضاً سُخرياً، قال تعالى: [وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً].[1]

وأوضح السعدي – رحمه الله –: إن في هذه الآية الكريمة تنبيهاً على حكمة الله في تفضيل بعض العباد على بعض في الدنيا لِيُسَخِّر بعضهم بعضاً في الحرف والأعمال والصنائع، فلو تساوى الناس في الغنى و لم يحتج بعضهم إلى بعض لتعطّلت كثير من مصالحهم ومنافعهم.[2]

ثانياً: قد يكون بسط الرزق لبعض العباد ابتلاء واختباراً في حد ذاته، قال تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ]،[3] والشاهد في هذه الآية الكريمة قوله تعالى: [لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال ابن كثير – رحمه الله –: أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره.[1]

ولذلك ينبغي على المسلم أن يراقب الله تعالى في كل أحواله، إنْ كان غنياً فهل قام بدفع زكاة ماله للمستحقين ؟ وهل تفقد أقاربه وأرحامه وجيرانه وكل من له حق عليه، وقدم للفقراء منهم ما يحتاجونه من إعانات تساعدهم على العيش وتدفع عنهم بعض معاناة فقرهم ؟ وإنْ كان فقيراً فهل عمل واجتهد ثم صبر على ما قسمه الله تعالى له و لم يتذمر ويشكو ويندب حظه كما نرى ونسمع من بعض المسلمين اليوم ؟

ثالثاً: المال في الإسلام ليس هدفاً في حد ذاته، بل هو وسيلة لهدف سامٍ أكبر هو تحقيق العبودية الشاملة لله تعالى وحده وكسب مرضاته والفوز بالجنة والنجاة من النار، ولذلك كان التركيز في الإسلام على ما حوته القلوب من نوايا صادقة وما كسبته الجوارح من أعمال صالحة. وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".[2]

رابعاً: إن لكسب المال في الإسلام طرقاً ووسائل مشروعة، فلا يكتسب عن طريق الربا، أو عن طريق بيع الخمور والمخدرات، والقمار، والغش والنصب والاحتيال وخداع الناس وغيره، فكل ذلك من المحرمات التي رتب عليها الشارع عقوبات في الدنيا والآخرة، لذلك ينبغي على المسلم الحذر من المسالك غير المشروعة لكسب المال، والتركيز على المسالك المشروعة، فقليل مبارك خير من كثير سُحت يجر وراءه النكبات والمصائب، وأنْ يعلم بأن العبد لن يُترك هملاً وسوف يُسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، كما ورد في الحديث الشريف عن

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٢٠١.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث رقم ٢٥٦٤، ج٤، ص١٩٨٧.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ". [1]

خامساً : إن السعي الجاد لطلب الرزق مطلوب شرعاً، قال تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ]، [2] ولكن ينبغي أن لا يكون هذا السعي محموماً يعطل معه الكثير من الفرائض والواجبات الشرعية، كتأخير الصلاة عن وقتها، أو إرهاق النفس وتكليفها فوق طاقتها سواء كان لصاحب المال أو لمن لديه من العمال، أو صرف زكاة المال في غير مصارفها الشرعية، أو التحايل على النظام والقانون، أو عمل دعايات وإعلانات كاذبة من أجل جذب الناس وإغرائهم بالشراء، وما شابه ذلك.

سادساً: يجب على المسلم أن يكون إنفاقه للمال قصداً وعدلاً من غير إسراف ولا تقتير، قال تعالى في وصف عباد الرحمن: [وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً]. [3]

قال ابن كثير – رحمه الله –: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً وخير الأمور أوسطها، كما أورد عدة أحاديث في هذا الباب منها: عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم ٢٣٤١، ج٨، ص ٤٤٣، وصححه الألباني في تعليقه.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال: " من فقه الرجل قصـــده في معيشته"،[1] وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ ". [2 – 3]

ومـــن الآيات الدالة عـــلى الاقتصاد في الإنفاق، قوله تعالى: [وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً]. [4]

قال ابن كثير – رحمه الله – إن الله يأمر بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف [وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ] أي: لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً، وقوله: [وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُورا ً] أي: ولا تسرف في الإنفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً، ومن الأحاديث الذي أوردها في هذا الباب: عـــن أبي هريرة – رضي الله عنه – قـــال: قـــال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُـــلُّ حَلْقَةٍ مَكَـــانَهَا فَهُـــوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ "، [5] ومنها: " عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا

---

(١) ابن حنبل، المسند، حديث رقم ٢١٧٤٢، ج ٥، ص ١٩٤، الحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، وهو بقول: " من فقه الرجل رفقه في معيشته "، رقم الحديث ٥٥٦، ج ٢، ص ٣٣.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط، حديث رقم ٥٠٩٤، ج ٥، ص ٢٠٦، الحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، رقم الحديث ٤٤٥٩، ج ٩، ص ٤٤٨.

(٣) للتوسع انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٣٢٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، باب مثل المتصدق والبخيل، حديث رقم ١٤٤٣، ج٢، ص ٥٢٤.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا ".[1] [2]

سابعاً: يُسمع من بعض عوام النـــاس أقوال خاطئة حـــول الرزق وتنتقل من شخص إلى آخر دون وعي وإدراك بحقيقة مفهومها، منهـــا:

- قولهم: (**إنت تريد تقطـــع رزق فلان**).
- وقولهم: (**يعطي اللحم للّي ما لـــــه سنون**).
- وقولهم: (**يُعطي الحَلق للّي ماله ودان**).
- وقولهم: (**غزارة في الإنتاج وسوء في التوزيع**).

إن هذه الأقوال في الحقيقة وأمثالها لم تأت من فراغ فلا بد أن هناك أسباباً أدت إلى ظهورها، في مقدمتها: ضعف طلب العلم الشرعي والتفقه في دين الله، ولعلي أعلق بشيء من الاختصار على هذه الأقوال على النحو الآتي:

العبارة الأولى: (**إنت تريد تقطـــع رزق فلان**)، يقول الله تعـــــالى: [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ][3]، ويقـــول تعـــالى: [وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِـــلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ][4]، ويقول تعالى: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ].[5]

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: (فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى)، حديث رقم ١٤٤٢، ج٥، ص ٤١٩.

(٢) للتوسع انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظم، ج٣، ص ٣٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.

(٥) سورة الذريات، الآية: ٥٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ "، [1] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ ". [2]

فهذه الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد أنه ليس بمقدرة أي أحد كان قطع رزق أحد من الناس ؟!!

إن من سلبيات هذه العبارة أنها أدت إلى التجاوز عن المقصرين في أعمالهم وعدم إيقاع العقوبات المستحقة عليهم بحجة (لا تقطع رزق فلان) فتمادوا في التقصير واقتدى بهم غيرهم، وكل ذلك له ضرره الواضح في ضعف الإنتاج وتعطيل مصالح العباد مما يكون له تأثيره السلبي في تخلف المجتمع إن لم يكن الأمة بأسرها.

العبارة الثانية والثالثة: (يعطي اللحم للّي ما له سنون) و(يعطي الْحَلَقْ للّي ما له ودان)، العبارتان متقاربتان في المعنى، وتعنيان: إن الله تعالى أعطى فلاناً من الناس مالاً وهو ليس لديه القدرة على تصريفه، وبالتالي لا يستحقه، والعبارتان فيهما اعتراض واحتجاج على الله سبحانه وتعالى في توزيع الأرزاق على العباد وهو منتهى التجاوز وسوء الأدب مع الله تعالى.

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، حديث رقم ٣٢٠٨، ج١١، ص ٣٥٢.

(٢) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب الحث على المكاسب، حديث رقم ٢١٤٤، ج٣، ص ٢٦٩، وصححه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العبارة الرابعة: (**غزارة في الإنتاج وسوء في التوزيع**)، هذه العبارة فيها تشابه مع سابقتيها، وتتضمن اعتراض صارخ بالتقصير في حق الله تعالى وعدم معرفته بحسن توزيع الأرزاق، فالرزق متوفر والخير لديه كثير، لكن أعطى أناساً وحرم آخرين.

وفي الواقع أن هذه العبارات وأمثالها تنم عن جهل في دين الله تعالى، وجهل في معرفة قدرة وعظمة الله سبحانه، لذلك فيجب على المؤسسات التربوية بشقيها الرسمي وغير الرسمي، وفي مقدمتها: الأسرة والمدرسة والمسجد والمجتمع والإعلام ضرورة التأكيد على غرس الإيمان واليقين الجازم بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر من بيده الأمر كله صغيره وكبيره قليله وكثيره دقه وجله ليس لأحد كائن من كان أن يقدم نفعاً أو يجلب ضراً لأحد إلا بقضائه وقدره. كما يجب أيضاً على المؤسسات التربوية جميعها التنبيه على مثل هذه العبارات وخطئها وأن فيها سوء أدب مع الله تعالى، وأن ضررها على الفرد والمجتمع كبير لأنها قد تؤدي إلى التجاوز عن المقصرين والتسامح معهم، وكلا الأمرين ذميم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثامن عشر: المصائب نتيجة أعمالنا

قال الله تعالى [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ].[1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هي عن سيئات تقدمت لكم ويعفو عن كثير من السيئات فلا يجازيكم عليها، بل يعفو عنها، [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ],[2] وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ " ٣ _ ٤

وقال ابن عاشور – رحمه الله –: إن من المصائب التي تصيب الناس في الدنيا ما سلطه الله عليهم جزاء على سوء أعمالهم، وإذا كان ذلك ثابتاً بالنسبة لأناس معيَّنين، كان فيه نذارة وتحذير لغيرهم ممن يفعل من جنس أفعالهم أن تحل بهم مصائب في الدنيا جزاء على أعمالهم زيادة في التنكيل بهم؛ إلا أن هذا الجزاء لا يطّرد، فقد يجازي الله قوماً على أعمالهم جزاء في الدنيا مع جزاء الآخرة، وقد يترك قوماً إلى جزاء الآخرة. [5]

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب ما جاء في كفارة المرض، حديث رقم ٥٦٤٠، ج ١٩، ص ٣٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١١٧-١١٨.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ١٣٠.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

التوجيهات التربوية

تتضمن الآية الكريمة جملة من التوجيهات التربوية نحن في أمس الحاجة إليها في وقت كثرت على الأمة الإسلامية المصائب لعلنا بتدبرنا هذه الآية وأمثالها وما تحتويه من توجيهات أن يكون فيها عظة وعبرة وتذكير بأهمية العودة الصادقة إلى الله تعالى، ومن هذه التوجيهات:

أولاً: إن ما يصيب الإنسان أو الجماعة قل عددها أو كثر إنما هو بسبب ما ارتكبته الجوارح من المعاصي والذنوب، وقد جاء ذلك مؤكداً في عدة آيات منها: قوله تعالى: [أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]، [1] وقوله: [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً]، [2] وقوله: [وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ]، [3] وقوله: [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ]،[4] وقوله: [أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ].[5]

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن هذه الآيات الكريمات وغيرها تؤكد سنة كونية عامة لا تتغير ولا تتبدل بأن ما يصيب الإنسان أو الجماعة من مصائب ونكبات وبلاء هو بسبب ذنوبه ومعاصيه، ولذلك يجب على المسلم الحذر ثم الحذر من ارتكاب المعاصي والذنوب، ومخالفة أوامر الله تعالى.

ثانياً: إن ما يصيب الإنسان في الغالب الأعم هو المتسبب الرئيس فيه بسبب تقصيره في جنب الله تعالى، إما في عدم اتباع أوامره أو في عدم اجتناب نواهيه، ويتجلى هنا عدل الله تعالى بأنه لا يظلم أحداً ولو مثقال ذرة، قال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً][1] وقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ][2] وقال تعالى: [وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً][3] وقوله تعالى: [ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ][4] وقوله سبحانه: [ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ][5] وقوله تعالى: [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ][6] والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

ثالثاً: إن القاعدة الشرعية والسنة الكونية تؤكد أن من عمل خيراً لقي خيراً، ومن عمل شراً لقي شراً، قال تعالى: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ][7] فالجزاء من جنس العمل، وهذا يجعل الإنسان المسلم يحتاط لنفسه من الوقوع في المعاصي والذنوب لأنه سيعاقب عليها إما عاجلاً وإما آجلاً إلا أن يتداركه الله تعالى بواسع رحمته

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الكهف، من الآية ٤٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٥١.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٧) سورة الزلزلة، الآية: ٧-٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعفوه، وفي المقابل يجب أن يحرص ويسعى جاهداً في الإكثار من عمل الخير فهو طريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

رابعاً: من طبيعة الإنسان الفرح والسرور عند حصول نعمة وهو في صحة وأمن، ومن طبيعته أيضاً الضجر والقنوط وكفران النعمة عند حصول المرض وضيق العيش حتى وإن كان هو المتسبب فيه بسبب ما ارتكبه من معاصي وذنوب، قال تعالى: [وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ]،[1] وقوله تعالى: [وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ]، [2] وقوله تعالى: [فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ].[3]

وفي كلا الحالين يجب على الإنسان العودة إلى الله تعالى في العسر واليسر، وأن يحاسب نفسه على تقصيره وتفريطه ويسارع بالتوبة والإنابة والندم على ما فرط في جنب الله، كما يجب عليه شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من صحة وعافية، وقد ورد في الحديث الشريف عن صهيب - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ".[4]

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الشورى، من الآية ٤٨.

(٣) سورة الفجر، الآية: ١٥-١٦.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم ٢٩٩٩، ج٤، ص ٢٢٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خامساً: نلحظ اليوم ما تصاب به بعض الدول المسلمة وغير المسلمة من نكبات وأزمات ومصائب شتى، فنسمع ونرى الزلازل والبراكين والفيضانات والحرائق والرياح العاتية والحروب الأهلية الطاحنة وتفشي الأمراض الغريبة، وتفشي الفقر وقلة الأمن على النفس والمال والعرض ...الخ.

وهناك فئة من الناس وخصوصاً من غير المسلمين يفسر ذلك بأسباب مادية بحتة ليس لله تعالى فيها نصيب البتة، ولكن لو دققت وبحثت عن ذلك كله لوجدت أن السبب الرئيس هو البعد عن الله تعالى بعامة، وبسبب انتشار المعاصي والذنوب بخاصة، قال تعالى: [ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ][1]، وقوله: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ][2]، وقوله: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ][3]، وقوله تعالى: [وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى][4]، وقوله تعالى: [وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً][5].

كل ذلك يؤكد أن ما تصاب به بعض الدول اليوم هو بسبب ما كسبته أيديهم وبنص القرآن الكريم -كما مر معنا من الآيات الموضحة لذلك-، ويوضح ابن القيم - رحمه الله -

---

(١) سورة الروم، الآية:٤١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤-١٢٦.

(٥) سورة الجن، الآية: ١٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

: بأن كل نقص وبلاء وشر في الدنيا والآخرة فسببه الذنوب ومخالفة أوامر الله تعالى فليس في العالم شر قط إلا سببه الذنوب أما آثار الحسنات والسيئات في القلوب والأبدان والأموال أمر مشهود في العالم لا ينكره ذو عقل سليم بل يعرفه المؤمن والكافر والبر والفاجر.[1]

فلو نظرنا إلى أحوال الدول التي لحقت بها المصائب لوجدنا من المحرمات والمنكرات والفواحش الشيء الكثير، فمنها: (الربا، الغش في البيع والشراء، الكذب والخيانة، الزنا، اللواط، شرب الخمور وتصنيعها وبيعها في الداخل والخارج، زراعة بعض أنواع المخدرات، تبرج النساء وتشبه بعضهن بالرجال، تشبه بعض الرجال بالنساء، الحكم بالقوانين الوضعية وترك الحكم بما أنزل الله تعالى...الخ).

سادساً: سعة رحمة الله تعالى وشمول فضله للناس بأن لا يعاقبهم على بعض ذنوبهم، بل يعفو عن الكثير منها، وهذا يؤكده أيضاً قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ]،[2] وقوله تعالى: [أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ]،[3] وقوله تعالى: [وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ].[4]

سابعاً: إن من أعظم دفع المصائب إذا وقعت سواء كانت صغيرة أم كبيرة هو اللجوء إلى الله تعالى بالدعاء لرفع البلاء وبالتوبة النصوح ومداومة الاستغفار، وقد أوضح ابن القيم – رحمه

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ١، ص ٤٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله – ما ورد عن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قوله: ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة. [1]

والآيات المؤكدة على التوبة والاستغفار كثيرة جداً، فمنها قوله تعالى: [وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ]، [2] وقوله تعالى: [وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ]، [3] وقوله: [فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً]، [4] وقوله: [وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى]، [5] وقوله تعالى: [قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ]، [6] وقوله: [وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ]. [7]

ثامناً: بسبب الذنوب والمعاصي لقي كثير من الأمم السابقة حتفهم، وأبيدت أمم عن بكرة أبيها، ولقد أخبر الله سبحانه بما عاقب به أهل المعاصي والذنوب من الأمم السابقة وهم كثير جاء ذكرهم في مواضع متعددة في القرآن الكريم، فمنهم:

١- قوم نوح – عليه السلام –.

---

(١) ابن القيم، الجواب الكافي، ج ١، ص ٤٩.

(٢) سورة هود، الآية: ٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٤) سورة نوح، الآية: ١٠.

(٥) سورة طـه، الآية: ٨٢.

(٦) سورة القصص، الآية: ١٦.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ]، [1] وقال تعالى: [قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً]،[2] وقوله: [وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ]،[3] وقوله تعالى: [وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى].[4]

ونتيجة عصيانهم وفسقهم وظلمهم وطغيانهم أهلكهم الله تعالى بالطوفان كما مر في الآية السابقة (العنكبوت:١٤)، وقال تعالى أيضاً: [وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً].[5]

٢- قوم عاد ونبيهم هود – عليه السلام –.

قال الله تعالى: [وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ]،[6] وقال تعالى: [وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ]،[7] وقال تعالى: [وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ)،[8] وقوله: [كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ]،[9] وقال تعالى: [فَأَمَّا

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢١.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤٦.

(٤) سورة النجم، الآية: ٥٢.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٣٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

(٧) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٨) سورة هود، الآية: ٥٩.

(٩) سورة الشعراء، الآية: ١٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ].[1]

ونتيجة جحودهم وعصيانهم وتكذيبهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق كان جزاؤهم أن أرسل الله عليهم الريح العقيم، قال تعالى: [فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ],[2] وقال تعالى: [وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ],[3] وقوله تعالى: [وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ].[4]

٣- قوم ثمود ونبيهم صالح – عليه السلام –.

قال تعالى: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ],[5] وسمى الله تعالى قوم ثمود أصحاب الحجر، قال تعالى: [وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ، وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ],[6] ثم قال الله تعالى: [أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ]، [7] وقوله تعالى: [كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ]. [8]

ونتيجة كفرهم وتكذيبهم وإعراضهم عن الله تعالى أخذهم سبحانه تعالى بأنواع شتى من العذاب، قال تعالى: [وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٦.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٤١-٤٢.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٦.

(٥) سورة النمل، الآية: ٤٥.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٨٠-٨١.

(٧) سورة هود، من الآية ٦.

(٨) سورة الشعراء، الآية: ١٤١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]،[1] وقوله: [إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ]،[2] وقوله تعالى: [فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ].[3]

(١) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤- **قوم لوط – عليه السلام –.**

قال الله تعالى فيهم: [وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ، أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ][1]، وقال تعالى: [أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ][2].

ولتكذيبهم للرسل وتعديهم الصارخ على محارم الله تعالى أهلكهم الله سبحانه بأنواع من العذاب، قال تعالى: [فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ][3] وقال تعالى: [فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ، فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ][4]، وقال تعالى: [كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ، إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ][5].

تاسعاً: يجب أن لا يغيب عن الأذهان مطلقاً أن ما يصيب الإنسان من خير أو شر فكل ذلك بقَدَر الله تعالى، ومصداق ذلك قوله تعالى: [وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ][6].

أوضح ابن كثير – رحمه الله – تفسير الشاهد في هذه الآية: [قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] أي: الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر.[7]

---

(١) سورة النمل، الآية: ٥٤-٥٥.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٦٥-١٦٦.

(٣) سورة هود، الآية: ٨٢.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٧٣-٧٤.

(٥) سورة القمر، الآية: ٣٣-٣٤.

(٦) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٥٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قال الله تعالى في الآية التي بعدها وهي موضحة أسباب ما يلحق بالإنسان من خير وشر، فقال عز وجل: [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ][1]، وعلق ابن كثير – رحمه الله – على معنى ذلك فقال: [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ] أي: من فضل الله ومنته ولطفه ورحمته [وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] أي: فمن قِبَلِكَ ومن عَمَلك أنت، كما قال تعالى: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ][2] –[3].

عاشراً: يجب أيضاً أن لا يغيب عن الأذهان أنه قد يقع بالإنسان بلاء ولا يكون سببه المعاصي والذنوب، وإنما يكون لزيادة قُرب المبتلى من الله تعالى وتعظيم الأجر له؛ ولذلك نجد الأنبياء هم أشد الناس بلاءً مع عصمتهم من الوقوع في المعاصي والذنوب وفي الحديث الشريف عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ: " الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ "[4]، المهم في هذا الأمر هو الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى وقدره والوثوق به، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٥٢٩.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، باب الصبر على البلاء، حديث رقم ٢٣٩٨، ج ٤، ص ٦٠١، وصححه الألباني في تعليقه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث التاسع عشر: الدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ]. [1]

قال ابن كثير – رحمه الله –: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ] أي: دعا عباد الله إليه، [وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ] أي: هو في نفسه مهتدٍ بما يقوله فَنَفْعُهُ لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك.[2]

وقال سيد قطب – رحمه الله – في الظلال: إن كلمة الدعوة هي أحسن كلمة تقال على وجه الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات، فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن سوى التبليغ.[3]

التوجيهات التربوية

يوجه الله تعالى عباده إلى إحسان القول مطلقاً، وأحسن ما يقوله الإنسان أن يدعو إلى الله تعالى وحده لا شريك له ويطبق ذلك في نفسه قولاً وفعلاً، فتلك مهمة جليلة تلكم هي مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص ٣١٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ].[1]

ويجب على من يتولى الدعوة إلى الله تعالى أن يكون صالحاً في نفسه وجميع تصرفاته وسلوكه يشهد له بذلك؛ فالإسلام بتوجيهاته السامية يحض على هذا ويؤكد عليه، وقد أخبر الله عز وجل عن نبيه شعيب – عليه السلام – بقوله: [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ].[2]

والهدف من ذلك واضح وجلي، وهو حتى تكون الدعوة إلى الله تعالى ذات تأثير أبلغ وقبول أسرع، فالذي يدعو وهو لا يستجيب لما يقوله ولا يتبعه فأنـــّى يستجاب له، لأن الناس بطبعهم يتأثرون ويستجيبون لمن يوافق فعله قوله والعكس صحيح.

ومن التوجيهات التي تتضمنها الآية الكريمة، ما يلي:

أولاً: أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وأنها من أفضل وأجل أعمال الإنسان التي يتقرب بها إلى الله تعالى، ولا يخفى على الجميع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يوم خيبر: " فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ". [3]

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله – رحمه الله – في شرح كتاب التوحيد: " أي خير لك من الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، قيل المراد خير

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، حديث ٢٩٤٢، ج١٠، ٤٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها قلت هذا هو الأظهر والأول لا دليل عليه أي إنكم تحبون متاع الدنيا وهذا خير منه.[1]

وقال النووي – رحمه الله – : وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها، وفيه فضيلة الدعوة إلى الله، وفضيلة من اهتدى على يديه رجل واحد.[2]

وعلى المربين والمرشدين والوعاظ والمصلحين توجيه الناس بأهمية الدعوة إلى الله تعالى وبيان أثرها في حياة الناس وخصوصاً هذه الأيام التي فيها المسلمون أشد حاجة إلى الدعوة لكثرة المؤثرات السلبية التي تبثها وسائل الاتصال المختلفة؛ ومن أبرزها الانترنت والهواتف الذكية المحمولة، وكذلك ما تبثه القنوات الفضائية الغربية، ومن نهج نهجهم واتبع أثرهم من القنوات العربية.

كما أنه من الأفضل أن تتولى وزارات الثقافة والإعلام في الدول العربية والإسلامية عقد الاجتماعات والندوات المتوالية لبيان خطر هذه المؤثرات الوافدة على السلوك والقيم والعادات والتقاليد، والعمل سريعاً بالتخطيط الجيد لوضع ضوابط للبرامج التي تبثها القنوات العربية والإسلامية، والتوجيه بإنشاء قنوات فضائية ذات صبغة إسلامية متميزة، وأيضاً العمل على إعداد مواقع إسلامية في كافة التخصصات على شبكة الانترنت لمواجهة المواقع المنحرفة والضالة.

---

(١) سليمان آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ١١١.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم، ج١٥، ص ١٧٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: إن الكثير من الشعوب الغربية في ذهنها صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين مما يتطلب من المهتمين بأمر الإسلام والمسلمين سواء كانوا مؤسسات حكومية أو أهلية أو أفراد العناية التامة بأمور الدعوة أيما اهتمام، والعمل على توفير كل الإمكانات البشرية والمادية لذلك.

ومن باب التعاون على البر والتقوى والدلالة على الخير، فيجب على المسلمين عموماً أن يقدموا الدعم المادي والمعنوي للجهات الخيرية الموثوق فيها حتى تقوم بتأدية رسالتها الدعوية خدمة للإسلام والمسلمين.

ثالثاً: لا تقتصر الدعوة فقط على العلماء وطلاب العلم، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة دعوة ورسالة، قال تعالى: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ][1]، فكل بحسب ما أوتي من العلم يدعو إلى الله تعالى، وهذا يصدقه الحديث الشريف عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ ". [2]

وقال ابن حجر – رحمه الله – على الشاهد (بلغوا عني ولو آية) أي: ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم.[3]

رابعاً: ترك وهجر الأقوال الفاسدة والفاحشة والخبيثة التي تُصدّع حياة الأفراد والجماعات وتزلزل وحدة الأمة، سواء قلت تلك الأقوال أو كثرت فهي ممقوتة ومبغوضة، والتوجيهات

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل، حديث رقم ٣٤٦١، ج١٢، ص ١٧٤.

(٣) ابن حجر، فتح البارئ شرح صحيح البخاري، ج٦، ص ٤٩٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشرعية من القرآن والسنة كثيرة جداً في هذا الصدد منها قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً][1] وفي الحديث الشريف عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ: وَعَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ قَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ ".[2]

خامساً: من الوسائل التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى التسلح بها الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن، قال تعالى: [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ][3]، وكذلك الدعوة على بصيرة، قال تعالى: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ].[4]

وقال السعدي - رحمه الله - في تفسيره للبصيرة أنها تتضمن: العلم بالحق والعمل به، وإيثاره وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له.[5]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، حديث رقم ٦٠٣٨، ج٢٠،ص ١٥٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٠٦.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

المبحث العشرون: التذكير ينفع المؤمنين

قال الله تعالى: [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ].[1]

قال السيوطي – رحمه الله –: أي: ذَكِّر بالقرآن، ثم قال: من وَجَد للذِّكْرى في قلبه موقعاً فليعلم أنه مؤمن.[2]

وقال السعدي – رحمه الله – والتذكير نوعان:

النوع الأول: تذكير بما لم يُعرف تفصيله، مما عُرف مجمله بالفطر والعقول، فإن الله فَطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهية الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع فهو من التذكير، أن يُذَكّر ما في المأمور من الخير والحسن، وما في المنهي عنه من المضار.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٢) السيوطي، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، ج ٧، ص٦٢٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النوع الثاني: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة، فيُذَكَرُون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطاً وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

ثم قال – رحمه الله –: وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، وتقع منهم الموعظة منهم موضعاً كما قال تعالى: [فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى] [1] – [2]

---

(١) سورة الأعلى، الآية: ٩-١١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٥٥.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

التوجيهات التربوية

من التوجيهات التربوية التي تضمنتها الآية الكريمة:-

أولاً: تتضمن أمراً إلهياً عاماً بالتذكير، وهو يدخل ضمناً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي قال الله تعالى فيه: [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ][1]، وقال تعالى: [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون][2]، وقال تعالى: [الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاة وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور][3]، وقال تعالى: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ][4].

ثانياً: يعتري الإنسان حالات من الضعف البشري، كالنسيان، والغفلة، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنما سمي الإنسان لأنه عُهد إليه فنسي. [5]

وقال أحد الشعراء:

وما سُمي الإنسان إلا لنسيه... ولا القلب إلا أنه يتقلب

ولذلك فهو بحاجة إلي التذكير من أخيه الإنسان بصفة دائمة، بل هو واجب وحق شرعي له من باب (الدين النصيحة)، وفي هذه الأيام تشتد الحاجة إلى التذكير لكثرة المشاغل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٤) سورة التوبة، من الآية ٧١.

(٥) انظر الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج ١٦، ص ٢٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمصارف الدنيوية التي أفرزتها الحياة المعاصرة، فكثير منا أصبح مشغولاً صباحاً ومساءً بأمور الدنيا ونسينا وغفلنا عن كثير من الواجبات الشرعية التي تزيدنا قرباً من الله تعالى.

ولذلك كان لزاماً على الجميع دون استثناء تذكير بعضنا بعضاً وعدم التقاعس أو التخلي عن هذا التوجيه المهم لأن فيه صلاح الناس، وبصلاحهم يصلح المجتمع وتصلح الأمة ويحصل الخير ويعم الأمن والرخاء، ويصدق ذلك قول الله تعالى: [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]،[1] وقوله تعالى: [وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ].[2]

ثالثاً: اختيار الوقت والمكان المناسبين للتذكير، وهذا أمر مهم جداً لكي يحقق التذكير الفائدة المرجوة منه، فالإمام الخطيب مثلاً: يجتهد في أن تكون خطبته في قضية من قضايا الساعة، فإذا هلّ شهر رمضان تناول ما يجب على الصائم فعله، وما يجب عليه تركه، وكذلك في أشهر الحج، وهكذا كل مناسبة يتناول ما يناسبها من التذكير والوعظ، فلكل مقام مقال، كما لا يفوته أيضاً التذكير بما يعين على الأخوة الإسلامية وتماسك المجتمع، وما يحقق للمجتمع والأمة الخير والفائدة والتقدم والرقي.

رابعاً:كل ما كان هناك مراعاة لأحوال المراد تذكيرهم: من حيث لغة التخاطب، ونفسياتهم، ومشاعرهم، وأعمارهم، وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وما إلى ذلك، كان التذكير أكثر وضوحاً وبياناً ونفعاً، ولذا قال الله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ].[3]

خامساً: أن يحرص الجميع على تخصيص مساحة ولو دقائق معدودة يومياً للتذكير، فالموظف في عمله بحاجة للتذكير بأهمية الأمانة في العمل وإنجازه بالدقة المطلوبة وفي الوقت المحدد، والأولاد بحاجة للتذكير بالاهتمام بالصلاة والمحافظة عليها، والاهتمام بواجباتهم المدرسية وإنجازها ومراجعتها، والتلميذ في مدرسته والطالب في جامعته بحاجة للتذكير، وكل في موقعه

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) سورة العصر، الآية: ٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

www.alukah.net

بحاجة للتذكير، فتخصيص وقت يسير في حدود خمس إلى عشر دقائق للتذكير بين فترة وأخرى فيه خير كثير ونفع كبير إن شاء الله تعالى.

سادساً: تواجه عملية التذكير بعض الصعوبات، كإعراض المراد تذكيَرهم وعدم مبالاتهم، أو الاستهزاء والسخرية، ولذلك يتطلب من المُذَكِرْ أن يكون هدفه الأساس من التذكير وجه الله تعالى ويستشعر عظمة هذا العمل، وحسن الجزاء من الله تعالى، وأن يكون قدوته في هذا العمل الجليل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي مقدمتهم خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن يتذكر ما لاقوه من إعراض واستهزاء وسخرية بل وصل الأمر إلى شتمهم وضربهم وطردهم من ديارهم وحتى قتلهم.

وفي الختام، أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات على منَّه وفضله بإتمام مراجعة وإخراج هذه الموضوعات لتكون في متناول يديّ القراء الكرام، وأسأله تعالى بواسع فضله وعظيم كرمه أن يجعله عملاً مقبولاً يحقق بعض الفائدة المرجوة منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم وعلومه.

١- القرآن الكريم.

٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: علي أحمد عبد الباقي وآخرون، مؤسسة قرطبة، مصر، ١٤١٢هـ.

٣- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية - صيدا.

٤- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م.

٥- البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، دار طيبة - الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.

٦- بن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٧- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٨- الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشاف، بيروت، دار المعرفة.

٩- السعدي، عبدالرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة دار الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٨ هـ.

١٠- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر - مصر، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

١١- الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢- القرطبي، محمد أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

١٣- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

ثانياً: السنة النبوية الشريفة وعلومها.

١٤- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: مختار الندوي، الدار السلفية، ١٤٠٢هـ.

١٥- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٦- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، ترتيب: علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٧- ابن حجر، أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريَّان، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

١٨- ابن حنبل، أحمد، المسند، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف الدكتور: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٩- ابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٠- أبو داود، سليمان ابن الأشعث، سنن أبي داود، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.

٢١- أبو يعلى، الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، ١٤١٠ هـ.

٢٢- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢ م.

٢٣- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ - ١٩٩٦م.

٢٤- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ ١٩٩٦م.

٢٥- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الخامسة.

٢٦- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ.

٢٧- الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الترغيب والترهيب، مكتبة المعرف، الرياض.

٢٨- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٢٩- البيهقي، أحمد بن الحسن بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند - حيدر آباد، الطبعة الأولى - ١٣٤٤ هـ.

٣٠- البيهقي، أحمد بن الحسن بن علي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

٣١- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

٣٢- الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٣- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٣٤- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٣٥- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٦- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٧- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ.

٣٨- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن، السنن الكبرى، تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٣٩- النووي، يحيى شرف، شرح صحيح مسلم، بيروت، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

٤٠- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

ثالثاً: الكتب التراثية والثقافية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤١- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار المعرفة، سنة النشر: ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

٤٢- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، مدارج السالكين، تحقيق: محمد حامد الفقي،دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٤٣- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفتاوى، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، مكة المكرمة، د- ط، د - ت.

٤٤- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٥- ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، هجر للطباعة والنشر - الجيزة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٤٦- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، المحقق: عبد الله علي الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٤٧- آل الشيخ، سليمان، عبد الله بن محمد، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٤٨- الجزائري، أبو بكر، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.

٤٩- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ط,٢

٥٠- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.

٥١- الغزالي، أبو حامد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ١٩٩٨ م.

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

٥٢- الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢هـ.

٥٣- النووي، أبو زكريا بن شرف، التبيان في آداب حملة القرآن، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٤هـ.

كتب وأبحاث للمؤلف

١- التوجيه الإسلامي لأصول التربية (مطبوع).

٢- الازدواجية في السلوك من منظور التربية الإسلامية (مطبوع).

٣- الهداية في القرآن الكريم ومضامينها التربوية (مطبوع).

٤- الذرية في القرآن الكريم (دراسة تأصيلية لتربية الأولاد في الإسلام) (مطبوع).

٥- البشارة في القرآن الكريم ومضامينها التربوية (مطبوع).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦- أكثر الناس.. أوصافهم في القرآن الكريم والمضامين التربوية المستفادة من ذلك (مطبوع).

٧- احذروا الغفلة (دراسة لمواضع الغفلة في القرآن الكريم ومعالجتها من منظور تربوي إسلامي) (مطبوع).

٨- ضعف وضوح الرؤية لحقائق وأحكام الدين أسبابه وطرق علاجه من منظور التربية الإسلامية (مطبوع).

٩- هكذا يكون الرقي بالأمة (مطبوع).

١٠- تربية الذرية في الإسلام (مطبوع).

١١- الأذان دعوة وفلاح) مطبوع).

١٢- توجيهات تربوية من القرآن الكريم (بحث مقدم لمؤتمر التربية الإسلامية وبناء المسلم المعاصر من الفترة ٢٢- ٢٤ محرم ١٤٢٧هـ).

١٣- إطلالة على جهود وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في خدمة وتوعية الحجاج والمعتمرين والزوار. (بحث مشترك مقدم للملتقى العلمي الثاني لأبحاث المدينة المنورة بجامعة طيبة من الفترة ٢٥- ٢٧ صفر ١٤٢٩ هـ).

كتب تحت الإعداد

١٤- عقبات جمة في طريق الرقي بالأمة.

البريد الإلكتروني: dr.a.alhazmy@hotmail.com

www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١
المقدمــة ٢
المبحث الأول: الواقع ومُبَشِّرات الخروج من الأزمة ٥
أولاً: واقع المسلمين اليوم ٥
ثانياً: مُبَشِّرات الخروج من الأزمة والعلاج الناجع لها ٧
ثالثاً: أهمية القرآن الكريم وأثره في النفوس ٩
المبحث الثاني: الابتلاء سنة كونية ١٣
التوجيهات التربوية ١٧
المبحث الثالث: أداء الأمانات ٢٢
التوجيهات التربوية ٢٤
أولاً: في جانب العبادات ٢٤
ثانياً: في جانب الأسرة ٢٥
ثالثاً: في جانب الإدارة ٢٦
رابعاً: في جوانب الحياة كلها ٢٧
المبحث الرابع: الأسرة الصالحة وأثرها في التربية ٢٨
التوجيهات التربوية ٢٩
المبحث الخامس: تقوى الله تعالى طريق الفلاح ٣٥
التوجيهات التربوية ٣٩
المبحث السادس: من آداب القرآن الكريم ٤٢
التوجيهات التربوية ٤٣
المبحث السابع: الاختلاف سنة كونية ٤٩
التوجيهات التربوية ٥٠
المبحث الثامن: أهمية العمـل المثمر ٥٣
التوجيهات التربوية ٥٥
المبحث التاسع: وسائل اكتساب العلـم والمعرفة ٥٧
التوجيهات التربوية ٥٨
المبحث العاشر: دفاع الله تعالى عن المؤمنين ٦٧
التوجيهات التربوية ٦٧
المبحث الحادي عشر: النكاح طريق الغنى ٧٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التوجيهات التربوية ٧٧
المبحث الثاني عشر: التوازن والاعتدال ٨٤
التوجيهات التربوية ٨٥
المبحث الثالث عشر: الجهاد في الله تعالى ٨٩
التوجيهات التربوية ٩٠
المبحث الرابع عشر ٩٥
القول السديد فيه صلاح الدنيا والدين ٩٥
التوجيهات التربوية ٩٧
المبحث الخامس عشر: عمر الإنسان محدود ١٠٠
التوجيهات التربوية ١٠١
المبحث السادس عشر: الصداقة الحقة ١٠٦
المبحث السابع عشر: الأرزاق بيد الرزاق جلَّ جَلالُه ١٠٩
التوجيهات التربوية ١١٠
المبحث الثامن عشر: المصائب نتيجة أعمالنا ١١٨
التوجيهات التربوية ١١٩
المبحث التاسع عشر: الدعوة إلى الله تعالى ١٣٠
المبحث العشرون: التذكير ينفع المؤمنين ١٣٥
المصادر والمراجع ١٤٠
كتب وأبحاث للمؤلف ١٤٥